القاضي ميكائيل موسمانو

عشرة أيام بين هتلر والموت

منشورات مكتبة بيروت

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

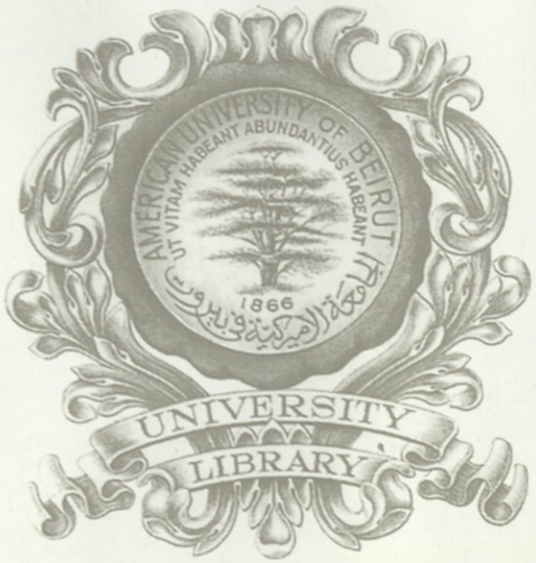

A.U.B. LIBRARY
943.086
M987LA

عشرة أيام
بين هتلر والموت

تأليف ميكائيل موسمانو
القاضي في محكمة نورمبرغ

عربه بتصرف
باسيل دقاق

منشورات مكتبة بيروت
بيروت ١٩٥١

مقدّمة

هذه قصة كتبها ابطالها انفسهم . وما قصتهم الا نتيجة تحقيقات اقتضتني جهود ثلاث سنين متواصلة جمعت خلالها شهاداتهم الحطية منها والشفهية وتفاصيل تلك الايام الرهيبة التي عاشوها ورأوا فيها وسمعوا دقائق نهاية هتلر . يضاف اليها ما وقفت عليه من اسرار اثناء التحقيق مع زعماء المانيا في نورمبرغ اثناء محاكمتهم ، اذ كنت محققاً وقاضياً في تلك الدعوى التاريخية الكبرى : دعوى نورمبرغ !

كنت في اخر ايام الحرب ضابطاً مساعداً للجنرال مارك كلارك قائد الجيوش البريطانية والاميركية في ايطاليا ، وشهدت استسلام الجيوش الالمانية هناك في ايار ١٩٤٥ . وقد شعرت من محادثاتي يومذاك مع بعض كبار الضباط الالمان انهم كانوا يرجون ان يكون نبأ مصرع هتلر كاذباً . وما كان رجاؤهم هذا مجرد رغبة ، بل قام على الانباء المتقاطرة من مختلف جهات العالم عن هرب هتلر الى الدانمرك او اسبانيا او الارجنتين ومنها ما رسخ طويلاً في الاذهان بل منها مايزال باقياً في بعض الرؤوس .

ولا عجب فقد احدث اختفاء هتلر ، ذلك الرجل الجبار الذي بسط سلطانه على نصف العالم وتحكم حيناً بمصير معظم شعوب الارض ، بتلك السرعة وعلى ذلك النحو الغامض ، فراغاً عظيماً في الدنيا وفي حقبة حساسة

من التاريخ. ولم يكن بد من سد هذا الفراغ و كشف القناع عن آخر ايام هتلر، عن تلك الايام العشرة الحاسمة في تاريخ المانيا الحديث وزعيمها الاكبر.

طرت الى برلين وزرت ملجأ هتلر وجبت اوروبا باحثاً عن جميع الذين شهدوا آخر الاحداث في مستشارية الرايش وهي تحترق، وجمعت شهاداتهم وقارنتها. وقبل ان اغادر المانيا في ايلول ١٩٤٨ جمعت في نورمبرغ، في مكان واحد، ابرز الشهود الذين كانوا على اتصال مباشر بهتلر في ايامه الاخيرة: رئيس خدمه وطباخته وامناء سره ومرافقيه وحلاقه، وخادمة مخدعه وحرسه وسائقه وطبيب اسنانه ومديرة بيته وغيرهم وواجهت بعضهم ببعضهم الاخر، وكان ذلك اول لقاء بينهم منذ حوادث الملجأ، وخرجت من كل ذلك بهذا التأريخ الصحيح لأيام هتلر الاخيرة.

ميكائيل موسمانو

محصن فى جحيم

برلين تحترق . برلين جحيم مندلعـــة السنته المرعبة في السماء. ابنيتها تتمزق بقعقعة مجنونة وحجارتها تتفتت كلساً اسود وتذوب ، وهيا كلهـا الفولاذية تتلوى وتتقلص وتتشكل الف شكل ، وسحب الدخان كلما انقشعت منها طبقة كشفت عن خراب جديـد ، فكأنما السماء والارض تتنازعان جثة المانيا الجبارة وتتناهشانها فتمزقانها شر تمزيق .

...وتأبى الجثة ان تستسلم. وهؤلاء مئات الوف الرجال يقاتلون قتال الضواري ويغسلون الجثة بنهر من دمائهم . وهذه خنـادق تحيط المدينة بسوار عريض يرد عنها المهاجمين ، وتلك حواجز قاهرة دبابات منتصبة على مداخل كل قرية وكل بلدة من ضواحي برلين .

وهؤلاء ثلاثة ملايـين من سكان اكبر مدن اوروبا ، جياع ، مصطفون صفوفاً طوالاً لا نهاية لها ، ينتظرون اللقمة على ابواب المخازن ولو مغموسة بالموت ، ولا يهربون رغم نعيب الصافرات وهدير الطائرات وتهطال القنابل من السماء واضطراب الفضاء بما لا حصر له من قـذائف المدافع وقوانص الطائرات ، وبين الفينة والفينة يتساقط منهم مئـات قتلى وجرحى ويأبون ان يتركوا امكنتهم لئلا تضيع اللقمة .

برلين ، ام المدن وحاضرة الحواضر انقلبت دغلاً من الحرائق وبحراً من الخرائب ومقبرة هائلة تبلع المئـــات كل دقيقة ... ولكن في هذه

الصحراء الملتهبة المنتشر فيها العذاب والجوع والعطش وابشع صنوف الموت ، واحة تنعم بالامان والحصانة وان بدأت السنة اللهيب تلسع اطرافها ، وفيها اكل وشرب ونظام : ذلك ملجأ ادولف هتلر .

تقع ، الى يسار ممر الانتظار الذي يخترق الملجأ ، قاعة الاجتماع وفيها يدرس هتلر وقادته العسكريون كل يوم حالة البلاد ، وتلاصقها حجرة الحرس . وتتصل هذه الحجرة بممر محاذ للسلم المؤدي الى مخرج الملجأ ، على ارتفاع خمسة عشر متراً ، حيث حديقة قصر مستشارية الرايش .

وفي جهة الممر الثانية على بعد خمسة او ستة اقدام من القاعة الكبرى ، ثلاث حجرات خص بها الاطباء . وبجانبها قاعة استقبال عامة تليها حجرة الانارة والتهوية . وتليها غرفة الهاتف وسلسلة من الغرف مخصصة للحرس وامناء السر .

اما الممر فعرضه ثلاثة امتار وطوله سبعة عشر متراً ، جدرانه مزدانة باللوحات الفنية الطليانية والستائر الثمينة ، وقد انتشرت فيها مقاعد وثيرة ، فكأنه قاعة استقبال كبيرة في ناد فخم .

وفي اقصى هذا الممر الى اليسار سلم بثلاث عشرة درجة يؤدي الى مجموعة من اثنتي عشرة غرفة منها اربع للمطبخ والخدمة ، واثنتان للخدمة واثنتان للخدم واثنتان للحقائب والاربع الباقية لاقامة الضيوف. والممر الذي يخترق هذه الطبقة السفلى من الملجأ قد مدت فيه الموائد تحيط بها المقاعد ، فصار قاعة الطعام العامة .

وعلى كل باب من ابواب الملجأ وقف جماعة من الحرس الاسود مسلحين بالرشيشات يراقبون كل داخل الى هذا الحصن المنيع .

لما دخلت هذا الحصن التاريخي ، اول مرة ، بعد بضعة ايام من انتهاء المقاومة في برلين ، كان اول ما شعرت به انني داخل الى خلية نحل بثلاث

وثلاثين حجرة ، سداها الفولاذ ولحمتها الاسمنت المسلح .

وفي السنين الثلاث التي عقبت تلك الزيارة ، رحت ابحث عن الناس الذين عاشوا في هذه الخلية واستمع الى الاصوات عينها التي تردد صداها في جوانب الخلية ... بقيت ثلاث سنين اتحدث في شتى انحاء المانيا ، في السجون ، في قاعات المحاكم ، في معسكرات الاعتقال ، في زرائب المشردين ، في المستشفيات ، في بقايا السفن التي حولت الى مساكن ، في الاقبية وزوايا الازقة ، الى الناس الذين سكنوا هذا العالم تحت الارض مع هتلر ووقفوا على حركاته وسكناته ، وقاسوا غضبه وعرفوا شدة مراسه ، وبلوا عناده وكبرياءه وشهدوا اخيراً انهياره ومصرعه في ايامه العشرة الاخيرة التاريخية .

هوذا هتلر في يومه الاول من ايامه العشرة الاخيرة ، العشرين من نيسان ١٩٤٥ ، يكابد مرارة الفشل في يوم ذكرى ميلاده السادسة والخمسين ، وقد جلس على مقعد وثير يحيط به اكابر القادة وعلى رأسهم المارشال غورنغ والمارشال كايتل قائد جميع الجيوش الالمانية والجنرال يودل .

وها هم كبار رجالات الرايش يفدون من جميع الانحاء تباعاً الى الملجأ فيما القنابل ترعد وتكاد تقتلع برلين من جذورها : هذا الاميرال دونتز ببزته الانيقة الزرقاء ، وهذا فون ريبنتروب بمنظاره الفرد يقف وقفة كبرياء وخيلاء ، وقد انتصب بجانبه هانريش هملر انيقاً الى ابعد آماد الاناقة . وذلك هو الجنرال هانز كريبس رئيس اركان الحرب البري الجديد وبجانبه الجنرال فلهلم بورغدورف مرافق هتلر في جيش البر . وهناك وقف مارتان بورمان امين الحزب النازي ، والبير شبير وزير التسلح ، والجنرال كارل كولر ، رئيس اركان سلاح الجو .

اجتمع هؤلاء جميعاً لتهنئة الفوهرر بعيده ، والمانيا تحشرج حشرجة الموت تحت الضربات النازلة بها من كل جهة . فالحلفاء الغربيون وصلوا الى ضفاف نهر الايلب الجنوبية تجاه هامبورغ ، والروس من الجهة الثانية قد اخذوا ينتشرون حوالى برلين ويشددون الضغط عليها ، والعاصمة مهددة بالوقوع في طوق حديدي يطبق عليها من الشرق والغرب معاً .

وينهض هتلر فجأة وقد اثقلت الضربة كاهله ويقترب من حجرة الخرائط كالنمر الجريح ثم يدخلها ويلحق به قادته وينتشرون حول الخرائط حائرين واجمين . فالعدو يسحق المانيا سحقاً بكثرة جيوشه ووفرة عدته . وقد صار الآن على ابواب العاصمة .

ويصدر هتلر اوامر هنا واوامر هناك . ويحاول ان يشد قامته ويسوي عنقه . ويسعى في تقوية عزائم رجاله فيذكرهم بان اي جندي اجنبي لم يطأ ارض برلين منذ ١٨٠٦ ويصيح : لن تسقط برلين ، اذن !

ثم يترك هتلر خرائطه ويصعد لاستقبال وفد من المهنئين من كبار ضباط الجيش الالماني في الشمال والحرس الخاص والشبيبة الهتلرية ، تجمهر في حدائق المستشارية . ويستجمع قواه ويخطب في المجتمعين حاثاً على القتال حتى النهاية دفاعاً عن برلين . ويؤكد عزمه على البقاء في برلين .

ويعود الفوهرر الى الملجأ حيث يلحق به غورنغ ويطلعه على الخطر العظيم الذي يتهدد الرايش من قرب تلاقي الروس والاميركيين ويوصيه بمغادرة برلين الى الجنوب فيرفض ، ويرد هتلر الوصية لغورنغ فيدعوه هو الى مغادرة برلين فيفعل بعد تردد قصير ...

مُباغتة !

في ذلك اليوم العشرين من نيسان كان المارشال جوكوف على رأس مجموعة جيوش روسيا البيضاء الاولى والمارشـــال كونييف على رأس مجموعة جيوش اوكرانيا الاولى يقومان بحركة لتطويق برلين على صورة لاقطة ضخمة اخذ فكاها يطبقان على العاصمة . وابى هتلر وهو يتفحص خرائطه ، ان يعترف بان الحالة حرجة كل هذا الحرج . انه يعتقد بان حشد قواته في الشمال لتحطم الفك السوفيـــاتي الاعلى وتلتقي بالقوات الاخرى التي وصلت الى برلين ، كاف لانقاذ الموقف ، اذ مـا تكاد تفرغ من سحق الجيوش الروسية في شمالي العـــاصمة حتى تتحول الى الجيوش الروسية المتقدمة في الجنوب فتدحرها وتتحقق بذلك هزيمة الروس .

وحوالى منتصف الليل يستدعي هتلر حلاقه ، وفيما الرجل منهمك في القصّ والتزيين ، يلتفت الفوهرر الى مرافقيه العسكريين ويبتدرهم مؤكداً : « سترون ان الروس سيمنون بافظع واكبر هزيمة في تاريخهم ، على ابواب برلين . »

في الساعات الباقية من تلك الليلة وطوال النهار التالي ، ظلت دوائر البرق والهاتف العسكرية تنقل الاوامر ، يساعدها السعاة بالطـــائرات والسيارات والسريع من الدراجات ، تمهيداً لتنفيذ تلك الخطة المنطوية على تفاصيل الحركات الفنية والمداورات العسكرية الرامية الى ضرب الروس

ضربة شديدة تردهم الى ما وراء نهر الاودر .

امر هتلر بان يقوم بالهجوم في الشمال الجنرال شتينر ضابط الحرس الاسود . واستدعي بالهاتف الجنرال كولر رئيس اركان حرب سلاح الجو وامره بان يحشد لدعم هذا الهجوم كل ما يمكن جمعه من الطائرات في منطقة برلين والساحل الممتد بين شتيتن وهامبورغ .

سأل الجنرال كولر عن موقع الهجوم فلم يتلق اي جواب اذ اغلق هتلر الهاتف محتفظاً بهذا السر ، فاتصل كولر بالجنرال كريبس رئيس اركان حرب الجيش البري العام مستوضحاً عن مكان الهجوم،واذبصوت جهوري يقطع سؤاله : « ما معنى هذا ؟ علام النقاش والثرثرة ؟ نفذ الاوامر فحسب ! اجمع كل ما تستطيع جمعه من اسراب سلاح الجو في المنطقة الشمالية لتستخدم في دعم الحركات البرية وارسلها على الفور الى الجنرال شتينر لتترك بتصرفه . وكل ضابط يؤخر ارسال هذه القوى يعرض نفسه للموت .

كان امر الفوهرر الثاني هذا قاطعاً صارماً ولكنه لم ينر امام الجنرال كولر سبيل العمل،فاتصل بالجنرال ديتلفسن رئيس مكتب الاعمال الحربية في مقر اركان حرب الجيش البري العام سائلاً عن مكان الهجوم ، فاجاب هذا بان مكتب الاعمال نفسه يجهل ذلك،وكل ما يعرفه ان الجنرال شتينر هو الذى كلف مهمة الهجوم وان قواته منتشرة في ضواحي شونفالد .

لم يأت هذا الضابط بجديد للجنرال كولر واكتفى هذا بتنفيذ الامر قدرما استطاع . ولكنه ظل يجهل الى اين يوجه القوات الجوية المجموعة .

في اثناء ذلك كانت الدبابات الروسية قد خرقت طوق الدفاع الداخلي في برلين ، واحتل الروس بلدة اركنر الحصينة على حدود برلين الشرقية وست بلدان اخرى في منطقة اركنر ، واخذوا يخترقون الدفاع الالماني

عن برلين في الشمال الشرقي ويقصفون قلب العاصمة بالمدافع الثقيلة قصفاً شديداً ، وقد تدفقوا بجحافل كبيرة في منطقتي فيسانسي وبانكوف .

حوالى منتصف ليل الحادي والثلاثين من نيسان استدعى الفوهرر كولر بالهاتف وسأله عما فعل للهجوم الالماني المقرر عند الفجر ، فلم يخف كولر ان الحالة تدعو الى التشاؤم .

وجاء التقرير عن الحالة في صباح الثاني والعشرين من نيسان ينبىء بان الروس دخلوا ضواحي برلين الشمالية الشرقية على جبهة طولها خمسون كيلومتراً وتوغلوا عشرة كيلومترات في برلين الكبرى ، وان معركة رشاشات رهيبة تدور رحاها على مسافة كيلومترين من قلب برلين في الشمال .

وتوالت الانباء بعد ذلك تترى معلنة تطويق العاصمة وبلوغ الجدار الحديدي الروسي المتقدم في برلين شارع لاندسبرغر . ولكن الفوهرر ظل قوي الامل في شق هذا الجدار وابتلاعه وسط سلسلة من الهجمات المضادة . وجعل يهتف الى كوكرد ، حيث القيادة العليا لسلاح الجو : ماذا تعلمون عن هجوم شتينر ؟ ماذا فعل شتينر ؟ اين شتينر ؟

وبلغ الغضب اشده بالفوهرر اذ لا يتلقى اي جواب شاف . وتجاشى معظم القادة والموظفين في الملجأ مقابلته لئلا يصب عليهم جام هذه الغضبة النارية . ولم يتجرأ احدهم على مواجهته بالحقيقة عن شتينر وهجومه .

وجاءت الاخبار حوالى الظهر سيئة : استولى الروس على ست عشرة ضاحية من ضواحي برلين وقطعوا طريق العاصمة الى دريسد ...

استدعى هتلر اركان حربه على عجل والغضب يقيمه ويقعده ودوى صوته في قاعة الخرائط سائلاً : هل هاجم شتينر ؟ وجاءه الجواب من الجنرال يودل رئيس اركان حرب الاعمال العسكرية في القيادة العليا

رهيباً قاسياً : كلا ! شتينر لم يهـاجم ! وطلائع الروس المصفحة تتلاقى شمال غربي برلين وجنوبها الغربي .

كانت الصدمة عنيفة وترنح هتلر من وقعها وتمسك بمقعد ليكبت ما اصابه ... وشخص ببصره الى الخريطة فسمر فيها كأنما رأى اخيراً اية هاوية فغرت فاها تحت قدميه ... هل هي الهزيمة حقاً ؟ هل تهزم جيوش الرايش الجبارة فاتحة اوروبا ؟

ظل لحظات ساهماً من هول الصدمة ، ثم هتف من اعماقه : خيانة ! خيانة ! يا للخونة المارقين ! اجل غدر بي شتينر وخانني جماعة الحرس الاسود. يا لكم من جبناء . اتدركون ماذا فعلتم بالرايش ؟

وانطلق هتلر يفرج كربته ويكيل التهم وينعى رجولة القادة الالمان واخلاصهم وبرهم به ، ويلوح بقبضته متوعداً وهو يضطرب وصوته يرتجف من فرط غضبه . ثم القى بنفسه في مقعد وثير والقهر يكاد يقتله .

وتقدم منه المارشال كايتل محاولاً تهدئة خاطره قائلاً ان المانيا ما تزال بحاجة اليه . وتبعه يودل وحاول هو الاخر ان يخفف من الم هتلر وينـاشده الوطن والشعب ان يرحم نفسه . وشرح له الخطة المرسومة لمواجهة اتصال محتمل بين الجيوش الروسية والاميركية التي قسمت المانيا قسمين : يقود الاميرال دونتز القسم الشمالي ويختص المارشال كيسلرنغ بالقسم الجنوبي ، وينتقل الفوهرر الى الجنوب حالما تسقط برلين .

وانضم بورمان وغوبلز و كريبس الى كايتل ويودل محاولين ان يقنعوا هتلر بالموافقة على هذه الخطة ومغادرة برلين ، مؤكدين ان الشعب الالماني باق على اخلاصه لزعيمه العظيم ... ولكن هذا الرجل العظيم ، هذا الزعيم الخطر الذي بنى امجاد المانيا الحديثة وكان قلب المانيا النابض

وعقلها المفكر ويدها العاملة لم يبق ، بعد الكارثة الا حطاماً ...

امر هتلر بان يحرقوا كل اوراقه الخاصة ، وكان ذلك اول نذير بالنهاية. وقد روى لي مرافقه الخاص يوليوس شوي وهو يشرق بدمعه في معسكر غارميش حيث قابلته :

« ادركت في تلك الساعة ، والالم يذبحني ان النهاية قد دنت. جمعت الاوراق والوثائق والرسائل من خزائن هتلر ومحافظه ونقلتها حزمة واحدة الى حديقة المستشارية وصببت عليها الوقيد واضرمت فيها النار ، فكان لهيبها لساناً من الالسنة النارية المهولة المندلعة من عاصمة الرايش . ثم توجهت الى مونيخ وبرشتسغادن حيث احرقت الاوراق والوثائق الاخرى . »

ثم استدعى الفوهرر الى مكتبه ايفا براون وامينتي سره السيدتين كريستيان ويونجه وطباخته الانسة مانزيالي وقال لهن : « عليكن بالاستعداد منذ اللحظة فستقلع بكن الطائرة بعد ساعتين . اما نا فباق هنا حتى الموت . »

سارعت ايفا وهي تكاد تقاطعه وهتفت : « نذهب؟ اتظن انني اتوك هذا المكان وانت باق فيه ؟ انت تعلم انني لن اتحرك من هنا وانني ما جئت الا لابقى بجانبك حتى النهاية . » ورفضت الامينتان هما الاخريان السفر . اما الامينتان كريستا شرودر ويوهانا مولف فكانتا قد سافرتا منذ العشرين من نيسان بامر الفوهرر .

وفي اثناء ذلك كان يودل وكايتل وكريبس يدرسون الحالة العسكرية ويحاولون الاهتداء الى مخرج من هذا المأزق الرهيب .

قابلت شتينر ، بعد انتهاء الحرب ، في مونيخ وسألته علام لم يشن ذلك الهجوم . فكان جوابه بسيطاً واضحاً ، قال : « وبماذا تريدني ان

اهاجم ؟ كانت الفرق الثلاث (من جيش الاحتياط) التي احتفظت بها في شورفهايد قد تلقت الامر من القيادة العليا بالذهاب لنجدة الجيش الالماني التاسع المشتبك بمعركة طاحنة مع الروس ، وما كادت تنزل الى الميدان حتى اكتسحتها الجحافل الجرارة المنقضة على المانيا من الشرق . اما الفرقتان الثانية وعدتني بها قيادة مجموعة جيوش الفيستول فلم تصلا . على هذا رأيت ان الهجوم هو الانتحار بعينه بل هو تعريض الوف الجنود الجدد المجموعين كيفما اتفق ، لمجزرة محققة . وما كنت ارضى بان اضحي برجل واحد في مغامرة مكتوب لها الفشل منذ البداية ...

حين هدأ ذلك الجو العاصف في الملجأ بعض الهدوء جعل القادة يتناقشون امام الفوهر ويعرضون عليه خطة العمل لمواجهة الخطر الداهم . وكان ابرز هذه الخطط التوقف عن مقاومة الحلفاء الغربيين وحصر كل الجهود في وقف تدفق الروس . وكان من رأي يودل ان الفرصة لم تفت لمحاولة الفصل بين الغرب والروس . الا انه قال بوجوب سحب القوات الالمانية من القسم الشمالي من الجبهة الغربية فحسب ، على ان تبقى قوات المانية في الجنوب الغربي .

واعترض الجنرال كولر على هذا الرأي قائلا : اما ان تمضي المانيا في مقاومة الغرب في الشمال والجنوب معاً ، او تسحب قواها من الجبهة الغربية كلها وتصوبها نحو الجيوش الحمراء الزاحفة من الشرق . ولم يبد هتلر اية ملاحظة ، فرجح رأي بودل . وعلى اساس خطته صدرت الاوامر للدفاع عن برلين ونشر في الشعب الالماني خبر هذا الدفاع واستعداداته ودعم باخبار الاسلحة السرية التي اوشكت ان تظهر في الميدان .

كان الاعتماد الاكبر في هذه الخطة المرسومة لانقاذ برلين ، على الجيش الثاني عشر الذي يقوده فينك والمرابط على نهر الايلب . وقد توجه كايتل

الى مقر هذا القائد واطلعه على دوره في الخطة : كان المطلوب منه ان يحتفظ بضفاف نهر الايلب بقسم من قواته ليوقف الاميركيين ، ثم يخترق بالقسم الاعظم الباقي من جيشه الخطوط الروسية ليصل الى برلين. وقال كايتل وهو يودع فينك : « تذكر اننا نحارب الان الشرق لا الغرب . » ثم قفل راجعاً الى ملجأ مستشارية الرايش ...

ولكن ما كاد يطلع النهار التالي حتى كانت الجيوش الروسية قد اطبقت على برلين وتلاقى فكاها المفتوحان على العاصمة الالمانية بشكل ملقاط جبار .

اربع نساء في الملجأ

استلقى هتلر في مقعد وثير وجعل يداعب شعره ويمر باصابعه على ربطة عنقه الصوفية السوداء ، وهو يبتسم لبعض الحسان اللواتي احطن به يرشفن الشاي ويقضمن بعض الكعك . وفجأة استوى هتلر في مجلسه واخرج من جيبه انبوباً صغيراً لماعاً وراح يلهو به حيناً ثم صب ما فيه على كفه فاذا هو انبوب آخر يشف منه سائل .

وتسمرت الانظار في الانبوب ، وكلها اسئلة وفضول : ترى ماذا في الانبوب؟ وما هذا السائل؟ وابتسم هتلر ابتسامة صفراء وقال مشيراً الى السائل : هذا سيانيد البوتاسيوم ، وفي الانبوب ما يكفي لقتل اكبر رجل واضخم امرأة !

وانحنت السكرتيرة الحسناء تروودل يونجه محدقة بالسائل وعيناها الزرقاوان تلمعان فضولاً واهتماماً وسألت : وكيف يفعل هذا السم ؟ ثم اصلحت من جلستها وقد اخجلتها جرأتها في السؤال .

عاد هتلر يبتسم وكشر عن اسنانه وفتح فمه ثم قضم وهو يقول : هكذا تقضمين الانبوب فينتهي امرك! وفيما هو يمثل القضم عضت الطباخة حسناء مانزيالي على لسانها خطأ وهي تشرب الشاي فاراقته على ثوبها !

وابتسمت غيردا كريستيان ، الحسناء البولونية وثانية امينات سر الفوهرر ، ابتسامة صفراء وهي تتناول بعض الحلوى ، دون ان يفارق

نظرها ذلك الانبوب الجهنمي

اما ايفا براون فقد ظلت متحفظة على عادتها كلمـــا كانت مع هتلر بحضور اغراب ، وشدت بيديها على مسندي مقعدها ... كانت ترتـــدي ثوباً ازرق بديعاً وقد زينته زهرة في الكتف اليسرى .

تنحنحت ايفا ثم سألت بهـــدوء : هل يؤلم هذا السم ؟ ثم ضحكت ضحكة فيها تصنع كثير ولكن يديها بقيتا تشدان على المسندين .

— كلا ! ليس في هذا الانبوب السحري ما يؤلم

قالها هتلر بصوت حنون ابوي ، واستطرد :

« ان هذا السم يفعل فعله في انسجة الرئتين فيشلها ثم يوقف حركة القلب ، ولا يطول الالم اكثر من ثانيات معدودات ، اما الموت فلا يتحقق الا بعد بضع دقائق . »

كانت الساعة تدق الثانية صباحاً ، ولكن الساعات لا شأن لهـــا في حضرة الفوهرر ... هدأت المدافع بعدما ظلت طول النهار وجانباً من الليل تقصف برلين قصفاً مبرحاً ، وقد نال الملجأ الرابض كالجاموس وسط العاصفة نصيب كبير من حممها .

ومضى رجال الحرس الاسود في كل مكان يروحون ويغدون مسلحين حتى ذقونهم ، وقد اقسموا ان يحموا الزعيم بارواحهم حتى النفس الاخير بانتظار الهجوم المنتظر لانقاذ برلين .

ويخاطب هتلر جليساته ويحدثهن عن اطوار نشأته وعن الصعاب التي ذللها والخصوم الذين دبروا له المكائد فهزمهم وبلغ اوج المجد .

حدثهن عن اولئك الذين سحقهم بقوة ارادته ومضاء عزيمته ، حدثهن عن الدول الثماني والاربعين التي تألبت عليه ، وعن تحقيقه السيطرة المطلقة لالمانيا على القارة الاوروبية وافريقيا الشمالية والمحيطات .

زرت احدى اولئك النسوة ، بعد ذلك اليوم التاريخي بسنتين ، وهي السيدة كريستيان ، في غرفة صغيرة تحت الارض في برشتسغادن صارت مسكنها مع امها وابيها ، وسألتها ونحن نستعرض تلك الايام : « ولمَ بقيت مع هتلر وانت تعرفين ان الكارثة محققة ؟ » فاجابتني : « وكيف لا ابقى في ساعة الشدائد وقد قضيت معه ايام العز والسعد ؟ »

كانت تلك الايام سوداء حقاً ، فقد بقيت في الملجأ حتى النهاية واضطرت ان تشق طريق النجاة وسط الخرائب وجماعات اللاجئين البائسين الجياع ، واستطاعت بعد صراع شاق استغرق شهوراً برمتها قاست فيها الاهوال الى المنطقة الاميركية .

اما مانزيالي فلم تنج من طوفان الحديد والنار الذي اغرق برلين ، وقد شوهدت آخر مرة وهي تتخبط بين يدي جندي روسي خطفها الى بيت من بيوت برلين . وبلغ من شدة يأسها انها قضمت انبوباً مثل ذلك الانبوب الذي رأته في كف هتلر ، تلك الليلة التاريخية .

وكان نصيب ترودل يونجه احسن من زميلتها : استطاعت ان تهرب متنكرة بزي الرجال حتى وصلت الى مونيخ . وقد زرتها هناك في بيت اتت القنابل على نصفه ، ولم تبق فيه الا غرفة اختارتها مسكناً لها ولامها واختها ، فروت لي الاحداث الهائلة التي تتابعت وسط النار والدمار في ايام هتلر الاخيرة . قالت انها كانت تستطيع مثل زميلتها كريستيان ان تهرب من برلين قبل الطامة الكبرى ولكنها ابت ان تغدر بهتلر ساعة الشدة .

وروت لي ترودل بعد، ان اوتو غوانشه، مرافق هتلر الخاص ،عرض عليها ان يقتلها برصاصة في رأسها قائلاً ان الموت بهذه الطريقة اسهل من الموت بسيانيد البوتاسيوم ،ذلك الانبوب الجهنمي ، ولكنها رفضت ذلك

وقالت انها تفضل ان تعيش . ثم اطلقت ساقيها للريح واندست في خضم اللاجئين الهاربين من برلين .

اما ايفا براون ، رابعة تلك الحلقة النسوية التي كانت ملتفة حول هتلر في تلك الليلة تتناول الشاي والحلوى وتستمع الى قصة « الانابيب الجهنمية »، فما كانت اقل من رفيقاتها حباً بالحياة ، وظلت حتى اللحظة الاخيرة تعنى بزينتها كاملة .

جاءت ايفا من مونيخ الى برلين المحصورة بجرأة لا تضاهيها الا جرأة العاشقات الملهوفات ، واصرت على البقاء في الملجأ بجانب الرجل الذي لازمته اربع عشرة سنة ونعمت بكنفه بما لم تحلم به فتاة .

قال لي والد ايفا حين زرته في منزله في ايزينا برتز انه ما وافق يوماً على علاقة ابنته بهتلر ، وكان يفضل ان تأتيه ابنته بزوج ثري ، ولو عاملاً فقيراً . واليوم يشكو براون من انهم حرموه حقوقه في التقاعد بعد خدمة اربعين سنة في الادارة المدنية .

اما زوجته فقد بدا لي من حديثي معها انها في قرارة نفسها فخورة بابنتها ايفا ، وهي بعد تعتبرها زوجة هتلر الشرعية ما داما قد تزوجا في النهاية فكفرا عن كل ما سلف ...

بقيت ايفا اربع عشرة سنة على علاقتها الخفية بهتلر ، وحين كان كبار السياسيين او العسكريين يزورون هتلر في برشتسغادن ، كانت ايفا تلزم غرفتها او تسافر الى قصر بورمان ريثما يذهب الضيوف .

سألت ايريك كيمبكا ، سائق هتلر ، عن ايفا براون فقال : « تلك كانت اتعس امرأة في المانيا ، فلقد سلخت الجانب الاعظم من حياتها تنتظر هتلر » . ولكن الرجل مبالغ في ظنه : كانت ايفا تعرف كيف تلهو وتنعم بالطيبات ، فتقيم الحفلات وتشرب وترقص وتسوح في اوروبا

من ايطاليا الى نروج الى سواها من البلدان الاوروبية .

الا ان الزواج كان شغل والدتها الشاغل، شأنها في ذلك شأن كل ام. وكان جواب ايفا ان تلك مسألة ليست موضوع بحث ، وان كانت في الحقيقة تفكر هي الاخرى بهذا الزواج ويستهويها جاذبه . بل انها اطلقت النار على نفسها يوم اخبرها هتلر بان مسألة الزواج بها امر لم يخطر بباله ولن يخطر به واقنعها بان زواجه بها ليس في صالح المانيا ، وقطع لها عهداً بان تبقى خليلته حتى الموت .

هناك فتاة اخرى في حياة هتلر انتحرت حقاً في غرفته بمسدسه ولم يذكر سبب انتحارها ، وهي جيلي راوبال . وكل ما شاع وروي من امر هذه الفتاة التي صاحبها هتلر حيناً منذ العام ١٩٢٥ واسكنها مونيخ ورافقها في نزهات وسهرات في دار الاوبرا ودور الموسيقى ، انها استكبرت امراً حاول هتلر ان يحملها عليه ، وهي ابنة اخته،وهو خالها، ففضلت الانتحار ! وكان ذلك في الثامن عشر من ايلول ١٩٣١ . وقد نقل جثمانها الى فيينا حيث قضى هتلر ساعات وساعات يبكيها . ولما عاد الى مونيخ امر بان تقفل الغرفة التي شهدت الحادثة لتبقى على حالها .

وهناك روايات عن نساء غير ايفا وجيلي في حياة هتلر ، منهن البارونة لافير وممثلة السينما الحسناء ليني رايفنشتال وآرا كلادين ولولا ايب...

واخيراً ، لما تضافرت الكوارث على هتلر ، وانفض عنه الكثير من رجاله وقادته واتباعه ، رضي بان يعترف بايفا زوجة له امام الناس واعد لها المكافأة في العالم الآخر ، اذ قدم لها واحداً من انابيب السم الذي رغبت في التوسل به للخلاص مع زوجها من حياة يائسة ذليلة .

أمطار صاعقة !

اشتدت الادواء بهتلر وهو في الملجأ كالأسد الجريح المحبوس في قفص . ولازمه طبيبه الدكتور موريل وزاد الحقن التي اعتاد ان يحقنه بها كل يوم ليخفف عنه الم اصابته المزمنة بالغاز منذ الحرب العالمية الاولى وبدا عليه ضيق الصدر وجعل يتبرم حتى بهذا الطبيب الذي ظل السنوات الطوال اطوع له من بنانه واخلص اليه من الكلب الامين . وزاد ارتجاف يده حتى صعب عليه رسم خط مستقيم على خريطة . وانتهى به الامر الى صرف الدكتور موريل من خدمته .

لم يكن ملجأ الفوهرر الحصن الارضي الوحيد في شارع فيلهلمشتراسه . فقد انتشرت سلسلة من الملاجىء في هذا الشارع فكأنها اسطول من الغواصات تقوده « غواصة » قصر المستشارية : كان تحت مستشارية الرايش القديمة (قصر المارشال فون هندنبرغ سابقاً) ملجأ آخر عظيم للعسكريين . وانتشرت الملاجىء في اقبية وزارة الدعاية وخص بها الضباط المعهود اليهم امر الدفاع عن مستشارية الرايش وحرس الفوهرر والكتبة والطباخون والخدم وطائفة من الموظفين .

وقد التجأت الى هذه الاقبية الحصينة البارونة ارمنغارد فون فارو لما وصل الروس الى بيتها اذ قادها اليها ضابط من ضباط الحرس الاسود . وما لبثت ان اندمجت في هذا الجو العائلي وتنازلت عن عرش القابها

وامجادها وصارت تخدم ضياط القيادة العليا في مستشارية الرايش وملجأ هتلر ...

قالت لي البارونة ارمنغارد ، وهي اليوم في مدينة مندن الالمانية : « كان الخطر يقترب منا ساعة فساعة منذراً بالكارثة ، فمضينا الى جانب العمل ندفن آلامنا واحزاننا في الخمر والسلوى . وقد اعتدنا قصف المدافع ومشاهد الحريق وصارت الاهوال جزءاً من حياتنا .

خرجت ذات يوم ، وكان ذلك في الثالث والعشرين من نيسان ، الى شوارع برلين ومررت بحديقة الحيوانات « تيار غاردن » فاذا هي عرضة لقصف رهيب من المدفعيـــة . ولكن القصف لم يفزعني . كان الربيع يبعث الدفء في النفس رغم اضطرابها ويشيع البهجة وان اقترنت بمرارة الهزيمة ... قطفت بعض الزهور من الحديقة ومضيت اجوب الشوارع فاذا هي مقفرة وكأنما كانت برلين برمتها ملك يدي . على ان ما هالني هو مناظر الجند المارقين معلقين على الاشجار هنا وهناك ... »

كانت النساء ، امينات هتلر وموظفاته في اوائل ايام الحصار يقمن في الملجأ الارضي تحت مستشارية الرايش . ولكن الفوهرر ما لبث بعد حين ان امر بان تلازمه ايفا براون وطباخته مانزيالي وبان تجلسا الى المائدة معه . فاذا ما جن الليل جلس اليهما مع رفيقتيهما الاخريين يتناولون الشاي ويسمرون حتى ساعات الفجر الاولى .

قالت لي مدام يونجه : « كثيراً ما كان هتلر يحدثنا عن سياسته ومبادئه وما صار اليه الرايش في عهده . ولكنه لم يعترف لنا قط بغلطة من غلطاته ولا اعترف ، حتى في احرج الساعات ، بانه مسؤول عن نهاية المانيا المحزنة هذه في قليل او كثير . بل كان يعزو الهزائم التي منيت بها المانيا الى سوء ادارة قادته وغدر بعضهم وتخاذل بعضهم الآخر . »

ولما كان الحديث يتطرق احياناً ، كتلك الليلة الشهيرة التي وزع فيها هتلر انابيبه السامة على جليساته ، الى الانتحار، كان هتلر يتشبه بفردريك الكبير ويذكر موقفه في الايام العصيبة التي مرت به ابان حرب السنين السبع ، ايام كان يحمل في عنقه قلادة معلقاً بها انبوب صغير فيه سمّ زعاف ... ثم ينطلق الفوهرر في التفريج عما به ويخرج عن تحفظه فيلقي تبعة الكارثة على اركان حربه وعلى ذلك الجنرال الذي امره بالهجوم فلم يهجم في اشد الساعات حرجاً ويهتف :

«يا للخيانة وخونتها ! انني محاط بالخيانات والدسائس. آمرهم فيفسرون اوامري على هواهم ويتصرفون حسبما يروق لهم ان يتصرفوا . لقد كذب عليّ اركان حربي وخدعوني شر خداع ! »

تقول مدام يونجه : « حاولنا طويلاً ان نحمله على ترك الملجأ قبل فوات الاوان والالتجاء الى مكان بعيد يستطيع ان يتابع منه قيادة دفة الحرب . ولكنه ظل على عناده يأبى ان يترك الملجأ . وافظع ما كان يخشاه ان يقع حياً في ايدي اعدائه فيمثلوا به شر تمثيل . بل انه كان يأبى حتى الوقوع جثة هامدة في ايدي هؤلاء الاعداء .

ثم انه كان يشفق ان يقع واحد من رفاقه وموظفيه الاقربين في ايدي الروس او الغربيين . وقد ادركنا من احاديثه اكثر من مرة انه يحرضنا على الانتحار مثلما اعتزم هو ان يفعل ... وكان اشدنا حماسة لمثل هذه النهاية الدكتور غوبلز صنو هتلر وتوأمه . ولا عجب . فقد ظل غوبلز طول حياته يحب هتلر حب عبادة ويتعلق به تعلقاً اعمى ، حتى انه سمى اولاده جميعاً باسماء تبدأ كلها بحرف الهاء تكريماً لسيده . وقد اتى الى ملجأ هتلر بزوجته واولاده ، في حين اقام غوبلز وافراد اسرته في الغرفة القديمة التي كان الدكتور موريل يحتلها قبل ان يصرفه هتلر .

« ولم يكن تعلق زوجة غوبلز بالفوهرر اقـــل من زوجها . ولقد اعلنت لهتلر حين استقبلها : « ثق ايهـا الفوهرر اننا باقون على ولائنـا ومبادئنا حتى النهاية . وقد اتفقت وزوجي على اننـا متى دقت ساعتنا ، سنذهب الى القبر مع اولادنا تقديساً لواجبنا نحو الفوهرر . فأي امل لهؤلاء الاولاد في الحياة ، بعد الفوهرر . »

« ودخل اولاد غوبلز الى مكتب هتلر : هلفا وهي في الثانية عشرة، وهيلدا وهي في الحادية عشرة ، وهلموت وهو في التاسعه ، وهولد ولمـا يتجاوز الثامنة ، وهايد وقد دخل سنته الخامسة ، وحيوا الفوهرر بجرأة ومرح ، فربت على اكتافهم وداعب شعرهم متحبباً ملاطفاً .

« وما كاد الاولاد يخرجون حتى ترقرقت دموع مدام غوبلز. وسارع الفوهرر ينتزع من سترته شارة الحزب الذهبية ويعلقها على صدرها قائلاً: « اخلاصك هذا ايتها المرأة يفوق حد التصور . »

كان هتلر قد حمل هذه الشارة خمس عشرة سنة متوالية .

•

في محكمة نورمبرغ كان هرمان غورنغ على رأس الزعمـاء والقـادة الالمان الذين مثلوا امام قضاة الدول العظمى المنتصرة . والحق يقال ان مظهره كان يوحي لاي ناظر بانه الرأس بلا منازع ... كان،وهو جالس على مقاعد المتهمين يرتدي سترة زرقاء يزينها صفان من الازرار المذهبة ، وساقاه غارقتان حتى الوركين بحذاءين مهيبين ، وشعره الكث الخروبي يتوج رأسه المستدير وليس فيه اثر للشيب . وقد بدت قلة الاكتراث باجلى مظاهرها في جلسته وهدوء اعصابه وصارم نظراته .

كان غورنغ كلما عرض شريط من الاشرطة في قـاعة المحكمة يمثل اجتماعاً من اجتماعات الحزب النازي ، يهتف مؤيداً ويضرب على سـاقيه

مبتهجاً مهللاً . وقد التفت ذات يوم الى احد حراسه وهتف به : « يقيناً لو عرضوا في هذه القاعة شريطاً لذلك العرض الجبار الذي جرى في نورمبرغ سنة ١٩٤٠ ، لكان كبير قضاتكم ، جاكسون هذا ، تحمس ورغب في الانضمام الى حزبنا . »

كان غورنغ يردد على الشهادات في المحكمة بحركات مسرحية هازئة او بعبارات ساخرة ، او كان يلوح بيده الضخمة محتجاً او يشير بذقنه مؤيداً ان كان في ما يقال اثناء المحاكمة ما يؤيده ، او يهز كتفيه استخفافاً . واذا ما اتفق ان وجهت اليه تهمة رفع السماعتين عن اذنيه ورماهما باحتقار كأنما يود ان يصرخ بهؤلاء الناس : « كيف يستطيع عاقل ان يسمع هذه الاكاذيب ويصدق هذه الاباطيل ؟ »

سألت غورنغ ، بوصفي مراقباً امثل الاسطول الحربي الاميركي في محاكمة نورمبرغ ، في احدى فترات استراحه المحكمة : علام حرصت في اقوالك على الدفاع بهذه الحماسة المدهشة عن ادولف هتلر وهو الذي حكم عليك وعلى زوجتك وابنك بالموت ؟ فاجابني قائلاً بصراحة : « كنت اميناً لهتلر مخلصاً له قبل موته . ولو قدر وعاد هتلر اليوم لما ترددت لحظة في السير تحت لوائه . »

ظل غورنغ كذلك حتى نهاية المحاكمة الى ان كانت تلك المفاجأة المهولة التي فاجأ العالم بها ، يوم انتحر بالسم كي يقهر قضاته فلا يدعهم يشنقونه مثلما شنقوا رفاقه .

مررت قرب غرفة غورنغ في السجن بعد عدة ايام من صدور حكم محكمة نورمبرغ باعدامه فرأيته مستلقياً على فراشه غير عابىء بمصيره كأنما استسلم لحكم الاقدار استسلاماً تاماً . كان حراسه يتحدثون عنه بعطف بل باعجاب ظاهر . ولكن غورنغ لم يكن مستسلماً لمشيئة الاقدار

كما خيل الينا ، بل كان دماغه الماهر يدبر تلك الخطة التي خدعت الامم الاربع العظمى التي حاكمته وقضت بموته وغررت بالجيش الاميركي الذي اعتقله وتفنن في حراسته .

لقد نجا من تلك الميتة الشنيعة التي اعدت له ليكفر عن مشاركته بافناء اليهود وعما ادانته به محكمة نورمبرغ من جرائم اخرى. نجا من حبل المشنقة بأعجوبة الاعاجيب ، فسخر بقضاته حتى بعد موته !

هكذا انتهت حياة غورنغ التي بدأت تتألق ابان الحرب العالمية الاولى حين كان طياراً من امهر طياري سلاح الجو الالماني ، ثم جمع ثروة صغيرة من تقديم الاحذية للجيش ، وتدرج في الحزب النازي حتى مشى مع هتلر وجعل ، بعد زواجه بفتاة من اسرة اسوجية غنية ، يمد الحركة النازية بالمال ، ثم وصل الى الحكم ...

استاء هتلر من رحيل غورنغ الى برشتسغادن ، في الجنوب بعيداً عن العاصفة ، ولكنه اعلن في الثاني والعشرين من نيسان ان غورنغ يستطيع ، وهو في الجنوب ، ان يقود المانيا . ولما نقل الجنرال كولر هذا الخبر الى غورنغ في برشتسغادن كاد لا يصدقه وخشي ان يعهد هتلر بالخلافة الى بورمان ، عدو غورنغ الالد . ثم عاد فاطمأن اذ رجع الى مرسوم التاسع والعشرين من حزيران ١٩٤١ وفيه يقول هتلر :

« اذا حدث لي ما يحول دون ممارستي السلطة بسبب من الاسباب يخلفني مارشال الرايش هرمان غورنغ في جميع سلطاتي في الدولة والحزب والقوى المسلحة . »

واقترح عليه الجنرال كولر ان يبرق الى الفوهرر ويفاتحه بالامر رأساً ، فوافق على الفكرة وابرق الى الفوهرر يقول :

« اما وقد اعتزمتم ان تبقوا في برلين وتدافعوا عنها ، فهل توافقون

على ان اتسلم ادارة الرايش مع كامل السلطة في الداخل والخارج على اساس مرسوم التاسع والعشرين من حزيران ١٩٤١ ؟ اذا لم اتسلم منكم جواباً في غضون الساعات الاربع والعشرين المقبلة اعتبركم في حالة لا تسمح لكم بممارسة سلطتكم واتصرف على النحو الذي اراه مناسباً .

« اسأل الله ان يحفظكم ذخراً للوطن، وما ازال ارجو ان تتمكنوا من مغادرة برلين وان لا يكون الاوان قد فات . »

اعتزم غورنغ ان يطير في اليوم التالي الى الجنرال ايزنهاور ليفاتحه بالامر . ولم يخف قراره هذا عن كولر ، قال : « ثق انني متى واجهته وحدثته حديث رجل لرجل سنصل الى تفاهم اكيد سريع . انني عارف بالسمعة الطيبة التي اتمتع بها في الخارج ولا سيما اميركا . »

وامر غورنغ الجنرال كولر بان يكتب بياناً ليوجهه الى الشعب الالماني ويعلن فيه ان الرايش سيواصل الحرب على الروس وعلى الغرب معاً ، ولكن للانكليز والاميركيين ان يستخلصوا من هذا البيان ان الرايش انما يعلن استعداده لمحاربة روسيا فحسب .

واحتار كولر كيف يوفق في البيان المطلوب بين هذه المتناقضات ولكنه انصب على العمل محاولاً ان يجد العبارة الصالحة لمثل هذه اللعبة المزدوجة . وفيما هو منصرف الى رسم خطوط البيان، اخذ غورنغ يعد لائحة الوزراء في حكومته الجديدة .

واذ كان يتناول عشاءه مضى يصدر الاوامر تلو الاوامر ، بعدما صار سيد الرايش الاول : ضاعفوا رجال حرسي واجعلوهم الفاً ! انسفوا جسور الطرق في مانغفال وليتزاكشتال ! الي بضابط من هيئة الاركان العامة !

ولكن البرق نقل اليه رسالة خطيرة بددت الكثير من احلامه

واوقعته في احرج المآزق . كان في تلك الرسالة البرقية التالية :

« ان ما فعلته عقابه الموت ! ولكني ، لخدماتك العظيمة السابقة لاالح في طلب محاكمتك اذا استقلت من جميع الوظائف والمراكز التي تشغلها ، من تلقاء نفسك . والا كان لي معك شأن آخر .

التوقيع : **ادولف هتلر** »

وقبل ان يغادر حامل البرقية الغرفة ، فتح البـــاب بعنف ودخل فصيل من جنود الحرس الاسود . وتقدم قائده وادى لغورنـغ التحية وابتدره قائلا :

« آسف يا سيدي . تلقيت الساعة ، امراً من الفوهر بان اعزلك من قيادتك واعتقلك . » ونفذ الامر من فوره ، واذا ابواب السجن تغلق على مارشال الرايش هرمان غورنغ !..

كانت العاصفة التي اثارها هتلر في الملجأ في الثاني والعشرين من نيسان حين علم بتخاذل الجنرال شتينر واحجـامه عن الهجوم المرسوم ، نسمة عابرة ، اذا قيست بالهزة الرهيبة التي زلزلت الملجأ حين تلقى الفوهرر في اليوم التالي برقية غورنغ الـتي ينصب فيه نفسه زعيماً للرايش : قامت قيامة هتلر وجن جنونه وانتفخت اوداجه فكأن كل عرق من عروقـه قد توتر واوشك ان ينقطع ... ووقف ارتجاف يديه من هول الصدمـة وتشددت رجلاه فاخذ يذرع القاعة وفي داخله بركان يتحفز للانفجار ، ولا يجد كلمة يفرج بها عن همه . وفجـأة انفجر البركان وصاح هتلر بصوت كأنه الرعد : اخطار ؟ انذار ؟ ومن غورنغ ؟ أهـــذه هي الاخرة ؟ وانطلقت الشتائم يأخذ بعضها برقاب بعض ، وظـل هتلر يرغي ويزبد كالنمر الجريح ، ثم تهالك على مقعد وقد هد المصاب حيله .

وانسل الى الحجرة بعد هنيهة مارتان بورمان ، وهمس في اذن

الفوهرر بضع كلمات يخفف بها من وقع الحدث ، ويوصي بالوان العقاب الواجب انزاله بغورنغ « الخائن المارق ! »

كان مارتان بورمان يتوق الى الحلول محل غورنغ فيمسي رجل المانيا الثاني بعدما وصل الى المقام الثالث فيها مذ طار هيس الى انكلترا ، فسارع الى هذه الفرصة يغتنمها فيوغر صدر هتلر على غورنغ ، ولكن هتلر لم يتسرع فيأمر باعدام غورنغ بل اكتفى بتجريده من جميع القابه ونياشينه وسلطته العسكرية والمدنية وزج به في السجن مع زوجته وابنه واركان حربه وامر بمحاكمته بتهمة الخيانة العظمى . وقد ظل في السجن حيناً ولم ينقذه من بطش الحرس الاسود الا الامير كيون .

هتلر هز الدنيا بكلمات

في الرابع والعشرين من نيسان كان الروس قـــد استولوا على ثلث برلين المحطمة المحروقة ، واسروا عشرين الف رجل من الجيش المدافع عن هذه المدينة وغنموا خمسمائة مدفع ومائة طيارة ، وثمـــاني وعشرين دبابة والفين وخمسمائة حافلة قطار وثماني وثمانين قاطرة، ومصانع غاز وخطوطاً حديدية ومعامل كثيرة .

ووصلت قوة روسية الى نيازل ، المركز التجاري الاكبر في المدينة المعروف بمركز الكسندر بالاتز ، في حين مضى رجال الجنرال فيدلينغ يقاتلون قتال المستميت ويقاومون ببطولة قلما عرف مثيل لها،خلف جبال من الخرائب والحرائق والشاحنات المقلوبة والحواجز من كل صنف ولون. ولكنهم اضطروا ، آخر الامر ، تحت وابل الحديد والنـار ، ان يتخلوا عن المنطقة حياً بعد حيّ وشارعاً بعد شارع وبيتاً وراء بيت .

كان هؤلاء الابطال يحاربون بتلك الروح الجبارة التي بثها فيهم هتلر وبثها الاخلاص للواجب والتمسك بكل شـــبر من ارض الوطن حتى اللحظة الاخيرة . ولا عجب ، فمن حق هتلر ان يوضع في مصاف العباقرة العظام ، مهما قيل في تصرفاته ومهما تفنن النقاد والغاضبون في تجريحه. كان شعلة ذكاء فائقة حدود التصور تشع على كل من قاربه .

قال كايتل في وصف هتلر : « دماغ جبار بالف فكرة والف حيلة .

محال ان تستطيع مواجهته بتقرير شفهي، فما تكاد تبدأ تقريرك حتى ينتزع منك زمام الحديث فيحدس بما تضمر ويتدفق عليك بسيل من الاراء فيغرقك وتقف امامه عاجزاً صغيراً مشدوهاً بعظمته وسلطانه وثاقب نظره.»

وكان الى هذا خطيباً مفوهاً يلهب سامعيه حماسة ويعرف كيف يخاطب الجماهير ويأسرها بسحر بيانه ويقودها ولو الى الموت باشارة. وما شهد امرؤ جموع الالمان وهي تهتف له في موقف من مواقفه الخطابية الرائعة الا وايقن ان هذا الرجل خلق ليقود الامم بكلمة ويستنهضها بصرخة ويجمعها بنداء. كان كل خطاب من خطبه حدثاً يذكر في التاريخ باحرف من نار.

هكذا قاد هتلر الملايين وهكذا جندها على اعداء الالمانيا في الغرب والشرق معاً. اثارها على الدول الاستعمارية التي لم تغلب المانيا بل طعنتها حين تألب عليها اليهود والشيوعيون واصحاب المصارف الدولية. اثارها على «الدكتاتورية الشيوعية الدولية» وصورها لها آلة لم تخلق الا لاستعباد البشر وتخريب العالم.

حارب هتلر من منبره السحري جيوش البلشفية فحاربتها الملايين الالمانية حرب افناء او فناء. حارب البطالة فسحقها. وناضل نزع تسلح المانيا. وكافح الفقر والفوضى والانحطاط فغلبها جميعاً.

كان حبل اعدائه طويلاً لا نهاية له: هاجم وغلب تشيكوسلوفاكيا، وبولونيا، ومثيري الحرب، وألبيون وروزفلت وفرنسا، واليهود والبولونيين والصقالبة واليونان والماركسيين والفرانماسون ورجال الدين ودعاة الهزيمة والغوليين ودولفوس والبابا وجمهورية فيمار وسيرسيمون.

حارب وهزم من على منبره، الانهزاميين من «مخلفات» الحرب العالمية الاولى، والآباء العازفين عن الاولاد واعداء النسل في المانيا،

والمحتكرين المتلاعبين بقوت العباد ومصاصي دماء الشعب والمتنعمين على اكتاف العامل .

ما كان هتلر ، في خطبه العظيمة ، ذلك المحارب الصنديد والسياسي العبقري والاقتصادي الكامل ، والمشرع الاديب ، فحسب ، بل كان الى كل هذا فيلسوف زمانه : نادى بتحطيم سلاسل الضمير والخلق قائلًا : ان المجانين وحدهم هم الذين يحرصون على البقاء مغلولين فيها يجرونها وراءهم فتعوق انطلاقهم وتحليقهم . وقال في حرية الفرد واستقلاله : هذان سلاحان ماضيان ولكن قليلون يعرفون كيف يستخدمونها .

كان هتلر كخطيب ، سيد خطباء القرن العشرين وما عرف هذا القرن من يبذه في هذا المضمار . ولكن كثيراً من الشك يتطرق الى الى مؤهلاته الاخرى ولاسيما العملية . فما كان هو بالاقتصادي والمالي مثلًا . بل لم يكن بالقائد العسكري . ولعل هذا ما جعل الامم العظمى لا تقدر نفوذه وفعله قدرهما الحق . فقد كان العالم يجهل ان الخطابة هي افتك سلاح بعد القنبلة الذرية ! والخطابة قد ملك هتلر ناصيتها ، كل ناصيتها !

كان صوت هتلر المدوي في نفوس الالمان ناراً موقدة تحرك الهمم وتفجر البراكين ، يفعل في نفوس كثيرين من غير الالمان . قال ارثور اكسمان يروي كيف اسره هتلر بسحر بيانه واسر غيره كثيرين :

« ابرز ما لفت نظري ذلك الاعجاب العظيم الذي يكنه رجال السلك السياسي الاجانب لهتلر . من ذلك انني سمعت السفير البريطاني ، سير نيفيل هندرسون يطري بلاغة هتلر وقوة سحره في سامعيه حين يخطب . واذكر جيداً كيف راح رئيس جمهورية تركيا كمال اتاتورك يحدثنا عن عظمة هتلر لما استقبل بعثة الشبيبة الهتلرية سنة ١٩٣٦ وكنت واحداً من

افرادها . واذكر ما قاله لويد جورج بعد حفلة الاستقبال الشهيرة في اوبر سالزبورغ : « من نعم الله العظمى على الشعب الالماني ان ارسل اليه ادولف هتلر . »

وبعد ، كان ادولف هتلر من امهر ساسة هذا العصر . افتدري ان الانكليز ، وهذه اول مرة يسجل فيها هذا الحدث التاريخي الذي بقي حتى الان سراً ، قد عقدوا مع هتلر في العام ١٩٣٥ معاهدة بحرية تسمح لالمانيا بانشاء غواصات ؟ وعلام لم تمنع انكلترا هتلر من الزحف على رينانيا ، وكيف لم تحتج على اعادة الخدمة العسكرية الاجبارية العامة في المانيا ، رغم تعهد الانكليز امام العالم بالا يسمحوا بواحد من هذين الحدثين ؟ وعلى اي اساس اعطت انكلترا زعيم الرايش بلاد السوديت ، وهي جزء من اراضي دولة اخرى لا يتجزأ عنها ، وقطعة من سيادتها القومية ؟

اجل كان هتلر من امهر الساسة وارسخهم قدماً في اساليب الخداع السياسي ، فاستطاع ان يخدر وزارة الشؤون الخارجية البريطانية ، ويغرر بزميلتها الفرنسية ويمكر بمولوتوف وستالين وهما ابعد الناس نظراً واشدهم حذراً وشكاً .

حسناء في الملجأ

لو قدر لعابر سبيل هارب من قذائف المدفعية الروسية وقنابل طائرات الغرب ان يهبط الى ملجأ الفوهرر في ذلك اليوم الثالث والعشرين من نيسان ١٩٤٥ لسحره كل ذلك الجمال المنتشر في الملجأ يضفي عليه بهجة في احلك ايامه ويؤنس وحشته في ظلمات الخراب والتقتيل والتفظيع ، ولاخذ بفتنة ايفا براون التي قال فيها كايتل :

« حسناء ، ممشوقة القوام ، نحيلة الخصر ، انيقة ، يسحرك ساقاها الجميلان الجذابان كلما هتك سترهما ، متحفظة بعض التحفظ وان كانت ابعد النساء عن العزلة والخجل . »

كانت ايفا في الاصل شقراء كستنائية . ولكنها ما لبثت ان صبغت شعرها فغدت شقراء تماماً . ولم ير الفوهرر اي حرج في هذا التبديل فما كان يأبه لالوان الشعر في قليل او كثير .

وتأتي بعد ايفا ، مدام ترودل يونجه وهي صبية لم تكن قد تجاوزت الثانية والعشرين حين بدأت سنة ١٩٤٢ تشتغل في خدمة ادولف هتلر ، حسناء جذابة فاحمة الشعر ، ساحرة العينين ، تجمع الى الجاذب خلقاً رضياً حبب الكثيرين اليها ولا سيما شباب ضباط اركان حرب الفوهرر .

اما مدام غيردا كريستيان داردانوفسكي فكانت ثالثة حسان الملجأ ، وردية الخدين ، لؤلؤية الاسنان ، طافحة صحة وجمالاً . اعجب بها الكولونيل

اهرارد كريستيان، رئيس مكتب الاعمال الحربية في سلاح الجو فعرض عليها الزواج فقبلت وكانت هدية عرسها ترقيته الى رتبة جنرال . ومن رأي الدكتور براندت ان كريستيان استطاعت ان تجذب هتلر . اما مدام كامبكا زوجة سائق هتلر فتقول ان ايفا براون ما احست بالغيرة من امرأة مثلما احست بالغيرة على ادولف من كريستيان .

كانت رابعة الحسان في الملجأ مدموازيل مانزيالي التي خلفت مدموازيل كونده في مطبخ الفوهرر ، فاضافت الى بريق الآلات المطبخية اللماعة بريق عينيها الزرقاوين وبشرتها البضة الفاتنة . كان اشد ما تخشاه ان يفاجئها الفوهرر ذات يوم وهي تدخن مخالفة اوامر حظر التدخين على حاشية هتلر جميعاً .

اما الحسناء الخامسة فكانت سكرتيرة مارتان بورمان، ايلزه كروغر، وقد امتازت عن قريناتها بجمال شعرها الجعد الذهبي .

وكانت سادستهن ماغدا غوبلز، زوجة الدكتور غوبلز الشقراء الجذابة التي مثلت في النهاية دوراً من افجع ادوار مأساة الملجأ .

اما في الذكور فلو اتيح لذلك الطارق الداخل الى الملجأ ان يطوف به لرأى جوزف غوبلز ومارتان بورمان : الثاني قصير بدين ثخين العنق عريض الانف افطس ، وعليه امارات المتزعم الطاغية . اما غوبلز فنحيل الجسم خفيف الحركة لا تفارق سحنته ابتسامة غريبة لا تفهم حقيقة معناها وعليه ظواهر تنبىء بانه يحتل المقام الثاني في القيادة بعد هتلر ، الى جانب منصب وزارة الدعاية ونيابة برلين .

ولرأى زائرنا الجنرال بورغدورف مرافق هتلر في جيش البر ، وهو شخصية بارزة نامت بدور خطير : فهو الذي اتى رومل ، بعد اخفاق مؤامرة العشرين من تموز على حياة هتلر بقليل، وقدم اليه مسدساً وخيره

باسم الفوهرر بين ان ينتحر او يحاكم امـــام محكمة الشعب مع اعتقال زوجته وابنه ، فاذا اختار الانتحار يعده بنشر بيان يعلن بان موته كان في حادث سيارة او بسبب الجراح التي اصيب بها في الحرب .(١)

وهناك الجنرال كريبس الذي لم يساهم باية معركة ذات شأن ، والكولونيل نيقولاوس فون بيلوف مرافـق كريبس . وقد اجتمعت بهذا الضابط اثناء تحقيقي وسألته في ما سألته عن ايام هتلر الاخـيرة : « هل هتلر كان يعرف ان المانيا خسرت الحرب ؟» فاجابني : « وهل يحتاج الامر الى سؤال ؟ كان الفوهرر يعرف حق المعرفـــة ان كل شيء قد انتهى . » فلما قلت له ان هتلر كان يستطيع ان يضع حداً لحرب خاسرة فيحقن البقية الباقية من الدماء وينقذ المدن الالمانية من الدمار ، استنكر حديثي ايما استنـكار وصاح :.« كلا ! لم يكن بد من المضي في الحرب حتى النهاية ... »

كان هؤلاء القادة جميعاً يعيشون في الملجأ في خوف دائم من اثارة هتلر ، فدأبوا اخيراً على اجتناب الخوض معه في اي نقاش وهو يحـدثهم عن المحاولات الاخـيرة لكسب الحرب ، اذ كانوا يدركون ان كل محاولة صائرة الى الفشل المحتوم . من ذلك انهم لم يجيروا باي جواب حين قال : « سيهاجمنـا الاميركيون فعلينا ان نمنعهم من الوصول الى الرور مهما يكن الثمن غالياً ، لانهم اذا احتلوا الرور خسرت المانيـا الحرب ، وخسارة الحرب آخر ما يمكن ان يفكر به الماني . »

الا ان سواد القادة والزعماء الالمان الاعظم لم يفقدوا ايمانهم بعظمة هتلر وجبروته . بل انهم ظلوا على ايمانهم هذا حتى بعد نهاية هتلر . فقد كتب روبرت لاي ، رئيس جبهة العمل الذي انتحر في نورمـبرغ في

١ طالع للمعرب كتاب « روميل على ابواب الشرق » من اصدار مكتبة بيروت .

البيان الذي تركه قبل موته ان هتلر من اكبر الرجال الذين خلقوا على وجه الارض .

ورودلف هس ، ذلك السياسي المشكوك بجنونه ، الذي طار الى انكلترا ليحاول كسب الحرب بالصلح مع الغرب، لم يشك ولا يشك اليوم لحظة في ان هتلر مخلوق لم تلد مثله الارحام . روى لي حين سألته في سجنه عن رأيه في هتلر كيف قابله اول مرة ، قال :

« كان هتلر يخطب في حجرة صغيرة تكاد مساحتها تقل عن ضعف سجني الضيق هذا . وقد كان لخطابه فعـــل السحر في نفسي حتى اني لما عدت الى البيت قلت لزوجتي : « اليوم عرفت رجلًا سيحكم المانيا حتما ذات يوم . » وقد تحققت نبوءتي .

سألت هيس : هل عرف هتلر بعزمه على السفر الى انكلترا فاجاب : « لم اتحدث الى اي كان بامر رحلتي هذه . ولكني لا اشك بان هتلر كان يعرف كل شيء . »

لقد ادعى هيس امام قضاة نورمبرغ انه مصاب بخلل في دماغه وضعف في ذاكرته فلا يذكر ما فعل او ما رأى او ما سمع قبل يومين . ولما واجهوه بهرمان غورنغ اكد انه لا يعرفه . وكذلك قال انه لا يعرف فون بابن ولا غوبلز ، وانكر حتى معرفته اسم زوجته وابنه . فلما عرضوا عليه فجأة صورة كبيرة لهتلر انتفض واتى بحركة كمن يتحفز لاداء التحية النازية ، ولكن سرعان ما ضبط نفسه وتراجع قليلًا وتمتم بضع كلمات فهم منها انه يعرف هذا الرجل لان له صورة في غرفته .

ولما سألوا هيس عن اليهود وما فعل بهم اضطرب كذلك . فاستوضحوه سبب اضطرابه فاجاب : « لا استطيع ان اشرح هذا الشعور بالتفصيل . كل ما اعرفه انني لا احبهم . »

ـ وكيف تتذكر انك لا تحبهم ما دمت قد فقدت ذاكرتك ؟

قال هيس : « يكفي ان تذكروا امامي كلمة يهودي لكي اشعر بمقت هائل يجتاحني . انني اكره اليهود ... اكرههم ! »

الا انه كان في الملجأ رجل لا يعترف بان هتلر هو المانيا والمانيا هي هتلر : ذلك هو البارون فون لورينغوفن ، احد معاوني الجنرال كريبس . ومما قاله لي حين قابلته وسألته عن ايام الملجأ الاخيرة : « في رأيي ان هتلر قائد عنيف لايعرف معنى الشفقة . من ذلك انه كان يعتبر تضحيات الشعب الالماني الرهيبة امراً طبيعياً ، ولا يرحم اي اخلال بالواجب او اصغر هفوة ، بل يفرض الطاعة العمياء . لم يكن يقيم وزناً للعواطف مهما سمت ! »

كان في الملجأ ، الى هؤلاء جميعاً ، طيارا هتلر الخاصان : بور وبتز . وقد بقيا على اتمّ استعداد للطيران ساعة يأمرهما الفوهرر بتأدية مهمة ، وان لم يكن عندهما طيارة .

وكان كذلك سائق هتلر ايريك كامبكا على اهبة تلبية نداء الفوهرر ، والدكتور شتومفيغر والبروفسور هازه معاونه وهانز لينغه الخادم ، واوتو غانشه مرافق هتلر الخاص ، والجنرال راتنهوبر قائد حرس هتلر الخاص وهوغل معاونه ، كل في مركزه . واختص هانز لورانز بمهمة ضابط الاتصال لاستقاء الانباء والاتصال بالخارج باللاسلكي . وساعده في استقصاء الانباء فيرتر نومان احد موظفي وزارة الدعاية .

وكان في الملجأ اخيراً الاميرال فوس والسفير فالتر هيفل ، والكابتن غونثر شفا غرمان ، مرافق غوبلز ، والليوتنان كولونيل فايس ، والجنرال ارهارد كريستيان ، والماجور جوهونمايز وضباط وجند وحرس ، وكلبة هتلر الخاصة « بلوندي » مع جرائها الخمسة وكلب ايفا براون وكلب مدام كريستيان .

وقد ظل يزور الملجأ ولكن لماماً ، زعيمان بارزان هما جواشيم فون ريبنتروب وزير شؤون الرايش الخارجية ، والبير شبير وزير التسلح ، اذكى جميع الذين كانوا بمعية هتلر .

سئل فون ريبنتروب في نورمبرغ : هل كان يشجب الحرب ، فاجاب :

« كان زمان بدأت ارى الحرب فيه رهيبة . »

— ومتى كان ذلك ؟

قال فون ريبنتروب : « حين اخرج البريطانيون والاميركيون جيوشهم على ساحل افريقيا الشمالية . »

اما شبير فقد سألته بعدما حكم عليه بالسجن عشرين سنة : قل لي صادقاً هل تعتبر هذا الحكم ظالماً ؟ فرفع كتفيه العريضتين وحدق بي وقال :

« وما هي عشرون عاماً في حياة الجنس البشري ؟ انا متزوج ولي عدة اولاد احبهم بالطبع ، ولكن حتى بعدي عنهم لا يحزنني ... لقد ادركت في آخر ايام الحرب ان هتلر زج بالمانيا هي الاخرى في افظع المآزق واذاقها الاهوال الواناً . ولقد حاولت جهد طاقتي ان اوقفه عند حدّ . »

نذائر من عالم آخر

برلين تحترق، ولكن من خلال السنة اللهيب ترتفع الاذاعات صارخة في العالم : ادولف هتلر يدافع عن عاصمته دفاع الابطال ...

كان الدكتور فيرتر نومان ، وكيل وزارة الدعاية ، يتسلل من الملجأ ليذهب الى محطة الاذاعة البعيدة عنه نصف فرسخ ليعلن للملأ: « قد يكون وجود الفوهرر ضروريا في اماكن اخرى ، ولكن الفوهرر باق في برلين يدير المعركة بنفسه ويربط مصيره بمصير عاصمة الرايش. وانتم ايها المواطنون شددوا من عزائمكم واعلموا ان فوهرركم العظيم وزعيمكم الدكتور غوبلز يضربان للعالم اعظم الامثلة في البطولة والتضحية . »

في غمرة هذه الاذاعات الحماسية وخلف هذه الصورة الحية لمعركة برلين، كان الجرحى، جنوداً ومدنيين ، يموتون عطشاً وجوعاً وفاقة، وعشرات الوف السكان يهربون الى خارج برلين على طرق الشمال والغرب في سيارات وعربات وجرارات ودراجات وعربات اطفال .

والوزراء، وزراء الرايش العظيم، قد هربوا الى الشمال، الا الدكتور غوبلز، واستقروا في بلوين، اما الجند فمضى كثيرون منهم يخلعون البستهم العسكرية ويندسون في الجماهير الجرارة المذعورة الهاربة من الحديد والنار.

اصبح ربع برلين في ايدي العدو . ولكن هتلر ابى الا ان يواصل القتال بثلاثة ارباع الجثة الملتهبة الباقية في يديه . وامر الجنرال شتينر ،

ذلك القائد نفسه الذي لعنه وصب عليه جام غضبه قبل حين ، بان يهجم في الشمال ليعيد اتصال القوى الالمانية ببرلين . ولكن شتينر خيب فأله مرة اخرى .

كان بين شتينر والفوهرر جيشان كاملان من جيوش العـــدو : الجيش الروسي الواحـد والستون ، والجيش البولوني الاول . ولم يكن في يد شتينر غير فرقة ناقصة سيئة العدة واقفة على رأس الجسر الباقي بيد الالمان في قناة هافل هوفنفينوف . فاتصل بالكولونيل جنرال هنريشى ، قائد مجموعة الجيوش الالمانية في الوسط ، واطلعه على خطر الموقف قائلًا ان اي هجوم مستحيل بوجه جيشين كاملين ولا طعم له ، ولا غاية منه الا ذبح الجنود الالمان . ولكن هنريشى شدّد عليـه بوجوب شن الهجوم وتنفيذ امر الفوهرر .

ثم جاء كايتل القائد العام ، يحث شتينر على الهجوم لشق طريق الى برلين ملجأ المستشارية ، فشرح له شتينر عقم مثل هذا الهجوم وما ينطوي عليه من انتحار مؤكد ، فألحف كايتل في الطلب واصرّ على وجوب تنفيذ اوامر الفوهرر بحذافيرها حتى النهاية ...

كان هتلر ، الى هذا ، يثق بوصول قوات الجنرال فينك من الجنوب في حين يهجم شتينر من الشمال . وقد تحدث كايتل في الثاني والعشرين من نيسان الى الجنرال فينك بامر هجومه ، فابلغه هذا رغبته في جمع الوحدات الالمانية المبعثرة شمالي بحيرات نهر هافل واعادة تنظيمها ولكن كايتـل اعترض على ذلك قائلًا ان الوقت من ذهب .

على هذا هجم فينك بالفيلق العشرين المؤلف من ثلاث فرق سيئـة العدة ولا دبابات لديها ولا مدفعية ثقيلة ، ولا طائرات تدعمها .

استطاع فينك في اول الامر ان يضرب بعض فرق المشاة الروسية

وان يردها عن مؤخرته ونشر قواته شرقي ماغديبورغ واخذ يزحف الى بوتسدام . واثارت هذه الانتصارات المحلية حماسة عظيمة في برلين وارتفعت الصيحات تحيي منقذ العاصمة !

وصل فينك الى نقطة تبعد ستين كيلومتراً عن برلين وهمّ بالانقضاض على هذا البحر من الدمار والدماء بسفينة انقاذه التعبة المحطمة اطرافها... ولكن عدواً جديداً انبرى له من شوارع العاصمة المحتضرة ، عنيداً طاغياً لا سبيل الى رده : ذلك هو الربيع جاء يحالف الروس في تشديد طوقهم على برلين . فقد جعل من اوراق الشجر وازهارها مخابىء للرشاشات وباصقات اللهب الروسية التي همت بتسديد الضربة القاضية الى الالمان وعاصمتهم .

وفي غرفة الخرائط وقف هتلر وقادته يحاولون ان يتدبروا الهجوم المضاد لانقاذ برلين وطرد الروس منها . وصدرت الاوامر الى الجنرال شورنر الموقوفة جيوشه في جبال السوديت بان يدعم فيلق فينك من جناحه الايسر ويساعده في الانقضاض على برلين ، فحاول ، ولكنه اخفق مثلما اخفق هنريشي في الشمال .

فتح تراجع شورنر ابواب الساكس امام الروس فدخلوا المانيا الوسطى . واضطر كيسلرنغ ان يتراجع صوب جبال الالب بعدما صدر الامر اليه بدعم قوات شورنر . وانسحب الجنرال فيانتغوف شيل قائد القوات الالمانية في ايطاليا مذعوراً نحو الالب تطارده جيوش الجنرال الاميركي مايرز كلارك التي مزقت الفرق الالمانية الخمس والعشرين شر تمزيق .

•

انطلقت جيوش الغرب والشرق كامواج محيطين جبارين تغرق المانيا وتجرف كل ما يعترضها من عقبات ، لتتلاقى في برلين .

في التاسع من اذار كانت جيوش الغرب قد تقدمت تسعمائة كيلومتر من نورماندي ، مكان نزولها من البحر . اما جيوش الشرق فقد قطعت الفي كيلومتر من نقطة انطلاقها في ستالينغراد . ولم يكن بين جيوش الشرق والغرب في التاسع من آذار الا خمسمائة كيلومتر .

وفي السابع من نيسان قصرت المسافة بين تلك الجيوش فصارت مائتين وثمانين كيلومتراً. فلما حل الثاني والعشرون من نيسان لم يبق بين طلائع الاميركان وطلائع الروس اكثر من مائة كيلومتر . ولم تلبث هذه الطلائع ان تلاقت في اليوم التالي على ابواب مدينة نورغو في المانيا.

في هذه المدينة التاريخية المحاطة بالاسوار التي انتصر فيها فريدريك الكبير ، سنة ١٧٦٠ على النمسويين ، تصافح جنود كردوس المشاة الاميركي الثالث والسبعين بعد المائتين ، وجنود فرقة الحرس الروسية السوفياتية الثامنة والخمسين ، مؤكدين للعالم وحدة اهداف اميركا وروسيا !

شقت المانيا في وسطها شقين ، وتحقق ما خشيته القيادة الالمانية العليا وكل جندي الماني والشعب الالماني برمته . وصار تمزيق الباقي من المانيا بحراب الروس والاميركيين المجتمعة مسألة ايام او ساعات ، وعم اليأس كل بيت وكل حي وكل بلدة في الرايش .

... وفي ملجأ المستشارية وقف هتلر يرغي ويزبد امام الخريطة ويضرب المائدة بقبضة يده ضرباً مبرحاً . وكانت دوائر الدكتور غوبلز تبتكر اسلوباً جديداً للدعاية في صفوف الالمان فتعلن ان فون ريبنتروب وزير شؤون الرايش الخارجية يفاوض لعقد ميثاق مع انكلترا واميركا وفرنسا يقضي بان يكون نهر الاودر الخط الفاصل بين منطقة الاحتلال السوفياتية ومنطقة احتلال الغرب .

كان نهر الاودر يومذاك سليماً، بعدُ، فراجت قصة الفصل بين البلاشفة والحلفاء الغربيين . ولكن لم يكن في ملجأ هتلر صغير او كبير يصدق ان ريبنتروب بقي قادراً على المفاوضة او القيام باي دور سياسي مهما صغر شأنه .

ولما اعلن نبأ تلاقي الاميركان والروس في تورغو ، انكشفت الحقيقة فكانت كالصاعقة وقعاً على كل الماني .

ولكن كم كانت دهشة رواد الملجأ عظيمة حين اعلن هتلر في المؤتمر الحربي الذي عقد على الفور ، بكل هدوء وبكثير من التشفي : « لقد غلبتهم واوقعتهم في الهاوية اخيراً ! »

وانما عنى هتلر بهذا القول بداية الوقيعة بين البلاشفة والغرب فكأنه تنبأ ببدء الحرب الجديدة : حرب روسيا والغرب . قال هتلر :

« ارى من واجبي ان اطلعكم على هذه الحقيقة الهائلة : ما كاد الروس والاميركان يتلاقون ويعلنون نبأهم السار على العالم ، حتى بدأت المنافسة بين الضباط الاميركيين والضباط الروس . فقد تنازعوا على حدود مناطق احتلالهم ، واعلن الروس ان الاميركيين اخلوا بما تم الاتفاق عليه في مؤتمر يالطه . »

واستطرد هتلر في بيانه ، فخوراً كذلك الصياد الاعزل يفاخر بايقاعه اسداً يطارده في هاوية سحيقة :

« وها انتم ايها السادة بخير وبقية الالمان بخير . لقد شككتم دائماً بضعف تحالف الغرب وروسيا . اما انا فما شككت لحظة في ان هذا التحالف اوهى من خيط العنكبوت وانه لن يدوم . وإلا هل يصدق احدكم ان نظامين مختلفين واسلوبين سياسيين متباعدين تباعد القطبين ، ومبدأين متعارضين ، وهدفين متنافرين ، يمكن ان يسيرا جنباً الى جنب ويتآلفا

ويتحالفا ؟

« ولكن ليس هذا كل ما في الامر . ولن يقف هذا الحدث الرهيب عند تمزق تحالف الجبارين . سترون انهما سيختصمان ويتماسكان بالخناق متنازعين المانيا التي يعتبرها كل منهما حصته . وسترون ان الحرب بينهما قد تندلع بين يوم ويوم بل بين ساعة وساعة . »

واذ كان المؤتمر منعقداً دخل رسول يحمل البرقيات الاخيرة ، فقرأها هتلر وقذفها بعيدا وتحامل على نفسه وغادر القاعة بخطى مضطربة .

كانت البرقيات تعلن استيلاء الروس على تامبلهوف ومحطة سيليزيا وجميع مناطق برلين في الشمال والشرق في قلب برلين نفسها ، وان الجيش الالماني الثالث المعتمد عليه في انقاذ من بقي في برلين يتراجع مسرعاً نحو الغرب . سارع الجنرال كريبس يأمر الجنرال شتينر بالهجوم باقصى سرعة يطيقها . ولكن أنى لشتينر ان يهجم باقصى سرعته ، وقد غدت برلين شدقاً رهيباً مفتوحاً لابتلاعه هو وقواته القليلة حالما يقترب منها .

قال لي شتينر حين زرته في بيته الوضيع في مونيخ :

« كان يقتضيني الهجوم على برلين خمساً وعشرين فرقة مطلقة من كل قيد . ولو جبت المانيا كلها يومذاك لما وجدت هذه الفرق . والحقيقة ان جميع الاوامر التي اصدرتها القيادة العليا باشراف الفوهرر منذ العشرين من نيسان ، لم تكن قائمة على شيء من الواقع والقوى المتوفرة ، بل على مجرد رغبات واحلام . وكل رجل القت به هذه القيادة في المعركة اليائسة لمحاولة انقاذ برلين او انقاذ من فيها ، هو في رأيي ضحية ذبحت عبثاً ... »

لم يكن سقوط مطار تامبلهوف بايدي الروس نذير النهاية لجماعة ملجأ الفوهرر ، فقد احتفظ الالمان بمطار ريشلن البعيد مائتين واربعين كيلومتراً عن برلين ، وبمطار غاتوف الصغير . ويكفي الطائرات الصغيرة

ثلاثون دقيقة لنصل الى الشوارع التي تتلاقى في قلب برلين وتتجه شرقاً وغرباً ، وهي شوارع فسيحة عظيمة تمتد مسافة ثمانية كيلومترات وتستطيع خمس سيارات ان تسير عليها متواجهة .

وامر هتلر بقطع اشجار هذه الشوارع وقلع العقبات منها لتصبح مدرجاً طويلاً تحط عليه الطائرات ، اذ كان ينتظر ضيوفاً خطيرين ، على رأسهم الكولونيل جنرال فون غريم ، خلف غورنغ المعزول ، في قيادة سلاح الجو الالماني... كان فون غريم في مونيخ حين تلقى امر الفوهرر بالحضور الى برلين ، فبحث عن طيار جريء . وكان ان دخلت الطيارة البطلة الجريئة حنه ريتش ، مسرح الاحداث في الايام العشرة الاخيرة من حياة هتلر ، اذ كانت هي التي حملت الجنرال فون غريم من مونيخ الى برلين .

وحنه ريتش هذه طيارة صغيرة ،زرقاء العينين طافحة حماسة وحيوية اشتهرت باجتيازها جبال الالب في طائرة شراعية ونالت جوائز في العاب الجو في مختلف انحاء العالم.

كانت حنة ماهرة في سوق الطائرات العمودية وضربت المثال الاعظم على ذلك حين استطاعت ،اول مرة في العالم ، ان ترتفع باحدى الطائرات العمودية في ممر مغلق .. على هذا طمع فون غرايم في الحصول على طائرة عمودية لتوصله بها حنه الى برلين ، وتحط به امام مستشارية الرايش . ولكنه عبثاً بحث عن العموديات اذ كان معظمها قد حطم في الغارات الجوية.

طار فون غريم مع حنه ريتش من مونيخ الى ريشلن في قاذفة قنابل. ومن ريشلن ركب طائرة من طراز « فوك فولف ١٩٠ » مع صف ضابط طيار . ولم يبق لحنه مقعد فجلست في احدى زوايا الذنب .

اعتقلت حنه ريتش بعد الحرب واحتفظ بها القادة العسكريون الحلفاء حيناً اذ اتهموها بتسهيل فرار هتلر بالطائرة الى الارجنتين ، فلما ظهرت

براءتها اقامت في بلدة اوبرور سال الصغيرة قرب فرانكفورت. وهناك روت لي قصة تلك الرحلة الجوية المدهشة ، قالت :

« كنت اود ان ترى ذلك الوكر الذي حشرت جسمي فيه حشراً واغلقت الباب علي . كان اشبه بتابوت كادت انفاسي تكتم فيه. على اني تحملت ذلك براً بفون غريم الذي احببناه جميعاً وقدرنا علو همته وحسن مزاياه .»

بعدما غادرت طائرتهم الصغيرة مطار ريشلن تعرضت لهم طائرات روسية مطاردة . ولكن طائرات المانية خفت الى ملاقاة الروس ... وبعد مناوشات عديدة استطاعت الطائرة ان تصل الى مطار غاتوف وحطت عليه وشظايا القذائف الروسية تتساقط عليهم .

خرجوا من تلك الطائرة الصغيرة وركبوا طائرة اصغر منها لاتتسع مقدمتها الا لراكب واحد ، فتسلم فون غريم زمام القيادة وبقيت حنه خلفه نصف واقفة ، وانطلقت الطائرة باتجاه شوارع برلين الكبيرة البعيدة ثلاثين كيلومتراً عن مطار غاتوف .

قالت حنه تتم روايتها :

« كنا نطير على ارتفاع بسيط لأن الطائرة صغيرة ولأن الروس لا يميزون طائرتنا بسهولة على هذا الارتفاع فلا يجدون الوقت الكافي لتسديد نيرانهم الينا .

« حلقنا فوق بحيرة فانسي ثم فوق اشجار فانسي حتى بلغنا غرونيفالد وفجأة انصب علينا جحيم من النيران ، وابصرنا ، من خلال الاشجار دبابات الروس ومشاتهم يصوبون الينا مختلف صنوف اسلحتهم .

«حاول فون غريم ان يروغ من الروس بسلسلة من الحركات المتعرجة ، ولكنني ايقنت اننا لن نخرج من الفخ ... واذ كنت احدق الى ما تحتنا

بقلق وخوف بهر نظري لمعان خاطف كالبرق واذ بالجـــنرال يصرخ :
« اصابوني ... رجلي اليمنى ! »

« كنت بعيدة عن رجل فون غريم فلم استطع ان ارى مبلغ اصابته . الا انني ادركت ان دماءه تنزف بغزارة لان شحوبه اخذ يزداد بسرعة . حاولت ان انتزع منه زمام القيادة ولكنه قال لي : « دعيني ... استطيع ان اتابع القيادة » ثم اغمي عليه . ومن حسن حظنا ان رجله اليسرى لم تصب المقود فبقي طليقاً في الهواء. فملت عليه من فوق الجنرال وامسكت المقبض واخذت احاول الخروج من الجحيم الذي صرنا فيه ، وقد افزعني ان بقربي رجلاً يموت .

« تفاديت نيران الروس والاشجار معاً جهد طاقتي . ولكن طلقات كثيرة اصابت مخزني الوقود واخذ الزيت يسيل من الطرفين، وتوقعت في كل لحظة ان تنفجر الطائرة . ولكن اخطأ حدسي ووصلت بالطائرة فوق برلين باعجوبة وألسنة اللهيب والدخان الكثيف تحيط بنا .

« فتح فون غريم عينيه وقال : « مرحى للبطلة ! » ثم عاد فاستغرق في اغمائه ... حاولت ان اتبين قصر المستشارية من خلال النار والدخان والقذائف فلم افلح ، الى ان تبينت رأس برج الاذاعة فاسترشدت به الى ملجأ حديقة الحيوانات . وكنت اعرف مستشفى هنـاك عولجت فيه اثر حادث طائرة .

« دارت بالطائرة متجهة نحو شارع النصر خلف حديقة الحيوانات ومنه نحو طريق برلين الكبيرة. وكادت نقط الزيت الاخيرة تسيل من المخزنين المعطوبين حين تبينت باب براندبورغ فهبطت بالطائرة ودرجت بهـا على الطريق الفسيحة : انتهى الامر ووصلنا ! »

استطاعت حنه بمشقة ان تخرج من طائرتها المحطمة وتجر وراءها الجنرال

فون غريم . وكان المنظر الذي فوجئت به يذهب بالعقـول : الشوارع مقفرة والخرائب مكدسة هنا وهنـــاك فكأنما زلزلت الارض زلزالها وقلبت ظهرها... القصور الجميلة مهدومة لم يبق منها واقفاً الا هياكل بشعة سوداء ، ودور السفارات الروسية والفرنسية والاميركية محطمة تحطيماً ، وكذلك دار اوبرا غورنغ العظيمة والكاتدرائية الامبراطورية وقصر القيصر القديم ، والجثث مبعثرة في كل مكان ، الا باب براندبورغ فقد ظل قائماً وواجهته مشوهة كأنها تنظر بحزن الى هذا المشهد المهول .

وسط هذه الخرائب بدت من بعيد شـــاحنة تتحرك ببطء وحذر . وشاهد سائقها جسماً صغيراً يلوح بيده فخف اليه وسرعان ما تعاون مع حنه على نقل الجنرال الجريح .

•

كان منظر حنه ريتش والجنرال فون غريم حين دخلا ملجأ الفوهرر مفاجأة عظيمة لسكانه المقطوعين عن العالم ، فكأنهم امام طارقين جاءا من عالم آخر ! وعلقت الانظار بالجنرال المحمول على اكتاف الجند وهم ينزلون به درجات الملجـأ ووسطهم « فتى » بهي الطلعة مسـترسل الشعر اشقره يبتسم ابتسامة فاتنة ...

وما لبث الجماعة ان احاطوا بحنه ريتش يمطرونها بوابل من الاسئلة : « الخبر عن فينك ؟ ماذا يجري في بقية المانيا؟ انستطيع الخروج من هنا؟ كيف السبيل الى النجاة ؟ »

ولكن هذه الاسئلة بقيت بلا جواب الى ان عولج الجنرال فون غريم من جرحه . وجاءه هتلر يبلغه انه انما استدعاه ليحله محل غورنغ في قيادة سلاح الجو الالماني بعدما خان غورنغ العهد ودنس شرف القيادة . وانه سماه مارشالاً .

سأل فون غريم : « وماذا بقي من سلاح الجو الالماني هذا ؟ »

ـ انني الان في سبيل رسم الخطط لتدبر الكارثة في برلين . وستقوم انت بدور كبير في هذه الخطط .

ونشر هتلر الخريطة واشار الى نقطة في جنوب برلين الغربي وقال : « هنا جيش الجنرال فينك . وامامه الجيش الروسي الثالث . فاذا استطعت ان تشق له طريقاً من خلال الطوق المضروب على برلين استطاع ان يخرقه ويرفع الحصار . »

« عليك ان تستخدم كل ما في امرتك من قاذفات قنابل . استرح قليلاً ومتى استعدت قواك تسلمت زمام القيادة . »

كان جواب فون غريم جواب القانط الواثق بان كل شيء قد انتهى ولا سبيل الى صنع المعجزات . قال انه مع طموحه واخلاصه للفوهرر والوطن عاجز عن القيام بما يطلب اليه اذ ليست لديه الوسائل اللازمة للهجوم ولا يصح ان يتعامى عن الحقائق ... ثم عاد فارتمى على فراشه .

ولكن الفوهرر اصر على ان ينفذ فون غريم الاوامر ويتسلم القيادة . ثم استدعى حنه ريتش وهنأها ببطولتها والحزن واضح في لهجته .

منذ تلك الساعة اخذ اليأس يرسخ في قلوب سكان الملجأ وبدأت انظارهم تتجه نحو انابيب « سيانيد البوتاسيوم » ، املهم الاخير في النجاة من حياة مرعبة في ايدي الروس .

ولكن ترى ما الذي يفعلون بجثثهم ؟ وجعلوا يتشاورون في الامر بعدما ايقنوا ان هتلر عزم على حرق جثته بعد انتحاره ، فاقترح احدهم ان يربطوا خصورهم ، قبل الانتحار ، بحبل من قنابل اليد يفجرونها والسم يسري في عروقهم ، فتنجو جثثهم من رجس الجنود الحمر .

هكذا يفنى اليهود

بلغ الدمار في برلين حداً لايوصف حتى كاد يفوق كل ما عرف العالم من صنوف التخريب والتدمير. ولكن هتلر لما يأس من وقوع الواقعة عاجلاً بين الغرب والشرق .

العلم الاحمر يخفق فوق اكثر من نصف العاصمة الالمانية، والمسافة التي تفصل طلائع الروس عن الفيهلمشتراسه تقصر ساعة فساعة: كل ذكر من سن السادسة عشرة الى سن الستين يقاتل ببندقية اوقذيفة يد او اي سلاح آخر ، جبال الحديد والنار والوف الدبابات المتقدمة والموت في افواهها .

القذائف تتساقط من كل صوب ومن مختلف انواع المدافع الروسية في حين يشق المشاة الروس ودوريات القوزاق طريقاً لهم وسط المدينة وانصبت القذائف على قصر فيلهلمشتراسه وضواحيه ولم يبق في المنطقة كلها بيت واحد قائماً على اساس .

المدينة كلها عرضة للنهب والسكان الباقون جميعاً أنصاف جياع يسطون على المخازن فيما يقيمون المتاريس ويدوسون الجثث غير عابئين ويتساقط منهم القتلى بالمئآت كما تتساقط اوراق الخريف في مهب ريح عاتية .

في هذا الجحيم الفاتح ابوابه على ملجأ المستشارية ، وقف هتلر ينتظر

الواقعة العاجلة بين الشيوعية والرأسمالية .

وفيما هو متمسك بهذا الخيط الواهي من الامل كان اخلص اعوانه ، هنريش هملر يعدّ له فخاً رهيباً .

كان هملر المنجل المطواع في يد هتلر لحصد اليهود ، اولئك الذين حكم عليهم هتلر بالموت الجماعي يوم اعلن في الرايشتاغ : اذا امتدت الحرب الى اوروبا ابدنا الجنس اليهودي على بكرة ابيه. وقد اثبت هملر انه عند حسن ظن الفوهرر به ، فنفذ حكم الابادة هذا وابدع في التنفيذ ، فاستحق لقب « جزار اليهود رقم ١ » .

بدأ هملر مهمته في الثلاثين من حزيران ١٩٤٤ فاجاد ورقي تباعاً الى منصب رئيس الحرس الاسود ، ثم الى منصب رئيس الغستابو الاعلى فمركز مدير معسكر الاعتقال فوزارة الشؤون الداخلية مع سلطة مطلقة على شرطة الرايش باسره .

وضع هملر نصب عينيه ان يقطع النسل اليهودي من الاساس فيبيد مع اليهود كل من له صلة بهم . وحسب ان بلوغ هذا الهدف يقتضيه قتل ثلاثين مليون نسمة .

لقد وصف هملر بالجزار الاكبر في عصبة ذابحي اليهود من زعماء المانيا ، واقسى قساتهم. ولكن قد يكون هملر مظلوماً بعض الظلم في هذا الوصف لانه حاول ذات يوم ان ينقذ فتى بريئاً ، من الموت :

كان ذلك في مدينة مينسك حيث احتل هملر بيتاً سكنه لينين في ما مضى . كان هملر يقوم بجولة تفتيش فطلب الى الجنرال نيبه احد قادة الحرس الاسود ان يتيح له الفرصة ليشهد اعدام جماعة من اليهود . فصدع نيبه للامر وصف حوالي مائة يهودي ليعدمهم بحضور هملر .

قال ايريك باخ – زيلفسكي ، احد شهود الحادث ، يروي تفصيل ما

حدث :

« كان بين هؤلاء اليهود فتى اشقر جميل في العشرين من عمره ، وقف هادئاً امام فوهات البنادق المسددة اليه . ولما ارشك الامر ان يصدر باطلاق النار ، رفع هملر يده مشيراً الى قائد كتيبة الاعدام بالتوقف . فخفضت البنادق وتقدم هملر من الفتى الاشقر وسأله : هل انت يهودي ؟ — نعم . وهل والداك يهوديان ؟ — نعم . وهل في اجدادك من ليس يهودياً ؟ — كلا .

« ضرب هملر الارض برجله مغضباً وقال : يؤسفني انني لا استطيع ان افعل شيئاً لانقاذك . » ثم تراجع وخر الفتى صريعاً بست رصاصات اخترقت جسمه .

وكانت الضحيتان التاليتان امرأتين . وارتجفت ايدي الجند وهم يصوبون بنادقهم اليهما . ولما اطلقوا النار لم يصيبوا الهدف . فوقعت المرأتان مذعورتين تصرخان وتستغيثان . فما كان من هملر الا ان صرخ بالجند : « أعيدوا الكرة وسددوا الاصابة ولا تكونوا اغبياء ! » فلما اعدموا المرأتين لم يرف لهملر طرف او تحرك في وجهه عضل ... »

وتفنن هملر وجماعته في طريقة افناء اليهود جماعات جماعات : انشئت محطات زائفة للسكك الحديدية في معسكرات الاعتقال ليتوهم جماعات اليهود ان الالمان سينقلونهم الى معسكر آخر . وكان يرافق الاستعداد للسفر فحص طبي لمعرفة الاماكن الصالحة لاجسامهم كي ينقلوا اليها ! فيخلع اليهود ثيابهم ويحشرون في قاعة كبيرة فيفحصهم الاطباء حيناً ، وما ان يخرج الاطباء حتى تفتح على اليهود انابيب الغازات السامة .

سئل احد الشهود في نورمبرغ ، وكان واحداً من الذين استخدمهم الالمان في معسكرات الافناء : كيف كنتم تعرفون ان اليهود ماتوا

بالغازات السامة حقا ، فاجاب: « الامر بسيط ، كان الدليل على موتهم كفهم عن الصياح والعويل . »

وفي معسكرات اخرى ابتكر الحرس الاسود طريقة اخرى هي حشر اليهود في سيارات مزودة بغرف للغاز ، وفتح انابيب الغاز عليهم. فاذا ما تعذر نقل اليهود وجمعهم في محطات السكة الزائفة لبعد مساكنهم عنها تقوم كتائب خاصة من الحرس الاسود بقتلهم في مساكنهم او حقولهم كأنها تصطاد الارانب !...

عين هملر في النهاية قائداً لمجموعة الجيوش الالمانية في جبهة الفستول . وحدث ما لم يكن بد من حدوثه فاخترق الروس جبهة الفستول وسحقوا جيوش هملر وزحفوا الى برلين ...

كان هملر يطمح الى اكثر مما وصل اليه من مناصب في الرايش: طمع هملر في ان يخلف هتلر في مستشارية الرايش الالمـــاني . وقد اغتنم بعض خصوم هتلر هذا الطموح فعرض على هملر اغتيال الفوهرر . ولكنه خاف مغبة ذلك ورفض الاقتراح .

ثم قام هملر بمسعى لانهاء الحرب مع الامم الغربية فقـابل الكونت فولكه برنادوت ، رئيس الصليب الاحمر الاسوجي في المانيا[1] ، في التاسع عشر من شباط ١٩٤٥ على بعد مائة كيلومتر شمالي برلين في مستوصف يديره البروفيسور غبهارد ، حوله رومل الى مقر لاركان حربه .

روى لي برنادوت انه لمـا رأى هتلر خيل اليه انه يرى ضبعاً ! ثم انه فاوضه بامر انهاء الحرب سريعاً . وطلب اليه ان يسمح للصليب الاحمر الاسوجي ان يساعد السكاندنافين المحجوزين في معسكرات الاعتقـــال

١) هو الكونت برنادوت الوسيط الدولي للهدنة بين العرب واليهود ، الذي اغتاله لارهابيون اليهود في القدس .

الالمانية فلم يعده هملر وعداً قاطعاً ولكنه تبين في نظراته رغبة المساومة...

وفي العشرين من نيسان حين زار هملر رئيسه الفوهرر مهنئاً بذكرى ميلاده في الملجـــأ ، كان يعد العدة للاجتماع ثانية بالكونت برنادوت ومفاوضته بامر انهاء الحرب . وحوالي الساعة السادسة صباح اليوم التالي اجتمع هملر وبرنادوت في هوهن – لوشن ومضيا في مفاوضة طويلة .

تحدث هملر عن الحالة العسكرية فاعترف بانهـــا خطيرة واستمع الى برنادوت يطلب نقل المعتقلين الدانمركيين والنروجيين من المعتقلات الالمانية الى اسوج ، ووضع جميع النساء في معتقل رافنسبروك بعهدة الصليب الاحمر الاسوجي .

كان الرجلان يتناقشان بمهارة اي مهارة وافترقا بعد ثلاث ساعات دون ان يتوصلا الى اتفاق قاطع . ولكنهما اتفقا على الاجتماع مرة اخرى .

بعد يومين اجتمع المتفاوضان حوالى منتصف الليـل في المفوضية الاسوجية في لوبيك . وفاجأتهما غارة جوية فاكرهتهما على الالتجاء الى الاقبية . ولما انتهت الغـــارة اختليا في قاعة منعزلة وانشآ ما كهرب العالم باسره بعد حين وهز ملجأ هتلر هزة رهيبة اشد من هزات المدافع الروسية .

تحدث هملر الى برنادوت كأنه قائد الحرب الاعلى والآمر الاكبر في الرايش فقال : « اطلب اليك ان تكلف الحكومة الاسوجية بوصفهـا محايدة ، ان تبلغ الامم الغربية انني مستعد ان استسلم اليها في الغرب . اما في الشرق فلن اكف عن القتال ولن امد يداً الى البلاشفة . » وكرّر هذا القول كتابة .

واراد هملر ان يثبت حسن نيته فوعد بان يصدر امراً بوقف تنفيذ اي حكم اعدام في الدانمرك ، وقبل ان يطلق سراح ليوبولد ملك بلجيكا .

اراد هملر ان يتدارك بعض ما راج من قصص عن افعاله في المعتقلات، اذ كان يعرف ان اسمه مسجل في رأس القائمة السوداء، فاتبع خطة التقرب من الغرب. وكان، قبل شهرين، الجنرال شيلنبرغ، وهو جنرال شاب من قادة الحرس الاسود ورئيس دائرة الاستخبارات عن الدول الاجنبية، قد اقترح على هملر ذات يوم ان يعزل هتلر، ويفاوض الكونت برنادوت الذي استطاع بوساطة الصليب الاحمر الاسوجي ان ينقل الى اسوج عشرين الف اسير دانمركي. واتفق شيلنبرغ بعد مفاوضة مع رئيس الاتحاد السويسري السابق جان ـ ماري موزي، الذي يمثل جمعية حاخامين اميركيين على اطلاق سراح الف ومائتي يهودي نقلوا الى سويسرا ثم تبعهم الف وثمانمائة يهودي آخرون. ولم يرض هملر بتنفيذ هذا الاتفاق الا بعد ان وضع جان ماري موزي بتصرفه خمسة ملايين من الفرنكات السويسرية في مصرف سويسري.

اراد هملر بهذه المساعي ان يحفظ خط الرجعة وينجو من كل انتقام. وطمع بان يستدعى ليتفاوض مع الجنرال ايزنهاور حالما تقوم الحكومة الاسوجية بالمسعى الذي طلب اليها، بوساطة برنادوت، ان تقوم به. الا انه اعتزم ان يظل على تظاهره بالولاء لهتلر فارسل اليه الدكتور غبهارد ومعه رجال حرسه الخاص السبعمائة ليساهموا بالدفاع عن الفوهرر. وقد قبل هتلر رجال الحرس واعاد الجنرال غبهارد الى هملر.

وكأني بهملر قد اعتبر نفسه في ذلك الحين حاكم الرايش المطلق، فجعل يفكر بان يعطي فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة بعض الامتيازات ومنها حل الحزب النازي. ولم يرَ حرجاً في الاقدام على حل هذا الحزب وتسميته باسم آخر هو «حزب الوحدة الوطنية.»

تقدم ثم انكفاء

ازداد الروس اقتراباً من مستشارية الرايش ولم يبق بين بعض طلائعهم والمستشارية اكثر من خمسمائة متر . وازداد الذعر في الملجأ . وكان احد الرفاق ، فيغلين شقيق ايفا براون ، اشد الجميع نفوراً من هذا الملجأ ورغبة في الخروج منه ، خصوصاً منذ سمع غوبلز وبورغدورف وشقيقته نفسها يؤكدون عزمهم على البقاء مع الفوهرر حتى الموت .

رسم فيغلين خطة للهرب ، ثم نزع البسته العسكرية ومحاولة الفرار من برلين والاختباء حتى يظهر من الخاتمة خيطها الابيض من خيطها الاسود... وسرعان ما شرع بتنفيذ الخطة فانسل تحت جنح الظلام ووصل الى منزله في كورفويرستندام . وهناك خلع البسته العسكرية وارتدى ثياباً مدنية . ولكن تنكره هذا لم ينقذه من رجال الحرس الاسود الذين تقفوا اثره واستطاعوا ان يقبضوا عليه ويسوقوه الى الملجأ .

حسب فيغلين ان اخته ايفا ستنقذه من العقاب . ولكنه لم يلبث ان ادرك خطأ حدسه . استقبله الفوهرر استقبالا عاصفاً ونعته بالخائن المارق وذكره بعقاب الخونة المارقين ... وكانت نهاية فيغلين مفجعة اذ اعدم رمياً بالرصاص في حديقة المستشارية كما سترى بعد حين ...

بلغ الغضب بالفوهرر اشده وهو يشهد الخيانة تلو الخيانة والغدر تلو الغدر من رجاله ورفاقه انفسهم وزاد في هياجه بقاء كثير من اوامره

دون تنفيذ . وعاد الى الخريطة يرسم عليها خطط . ثم ابرق الى كايتل القائد الاعلى في هولشتين حانقاً ، قال :

« انتظر عملاً لكسر الطوق عن برلين . اين مجموعة جيوش هنريشي . وماذا يفعل فينك وجيشه ؟ وما فعل الزمان بالجيش التاسع؟ومتى يتصل جيش فينك بالجيش التاسع هذا؟واين صار هجوم الدبابات الآتية من شمال برلين ؟ »

وجاء الجواب من كايتل في اليوم التالي باللاسلكي،بعد نقاش استمر طوال الليل مع يودل ، وفيه يقول :

« لا نعرف شيئاً عن الجيش التاسع . فينك يتقدم بجناحه الايمن جنوبي بوتسدام . اخفق هجوم الدبابات باتجاه كرامبنيتز . اما هنريشي فالجناح الجنوبي من قواته يتراجع الان نحو الشرق . »

كان تقدم فينك كل ما اهتم له الفوهرر ولكن فينك ما كان عازماً على المضي في الزحف حتى قصر المستشارية ، لانه ادرك ان ذلك محال . وكل ما سعى اليه هو مساعدة الجنود الالمان الهاربين من الجبهة الشرقية وحماية هجرة الالمان النازحين هرباً من الجيوش الحمراء .

وفي السادس من نيسان شن فينك هجوماً بثلاث فرق فتقدم عشرين كيلومتراً في يوم واحد وبلغ بيليتز وانقذ ثلاثة الاف جريح من الجنود الالمان .

قال لي فينك حين قابلته في احد مستشفيات بون ، عاصمة الجمهورية الالمانية الغربية اليوم : « تعانقنا مع هؤلاء الجرحى والدموع تطفر من اعيننا . ثم تابعنا تقدمنا ونحن نقاتل قتالاً رهيباً حتى بلغنا فيرش . ومنها وصلنا الى بوتسدام حيث التقينا بجيش الجنرال رايمان الذي طوقه الروس فانقذناه ، واستطعنا ان ننقذ جمهوراً غفيراً من السكان الالمان الدافقين

من الشرق الى الغرب . »

ولكن الروس ، وقد وقفوا على خطط فينك عاجلوه بهجوم مضاد وغلبوه بكثرة عددهم ودباباتهم فابرق الى القيادة العليا معلناً انه توقف ولا يستطيع ان يتقدم اكثر مما تقدم . واقترح ان يحاول جيش الجنرال فايد لنغ خرق الخطوط الروسية لينجده .

ثم احتل الروس مدينة بوتسدام فاشتد الخطر على فينك .

قال الجنرال انجل ، قائد الجيش الثاني عشر ، يؤيد ما اعلنه فينك :

« لما بلغنا بوتسدام ايقنا انه يستحيل علينا ان نتابع التقدم نحو برلين . والحقيقة انه لم يكن في نيتنا ان نشق طريقاً الى قصر المستشارية . ولما تلقينا الامر ونحن في بوتسدام ، بجمع كل ما نستطيع جمعه والزحف الى برلين ، رفضت تنفيذ هذا الامر . ووافقني الجنرال فينك في هذا الرفض لان كل محاولة من هذا القبيل تعني التضحية بجنودنا وزجهم في مجزرة مرعبة . »

اما في ملجأ الفوهرر فقد احدث نبأ وصول فينك الى بوتسدام ضجة عظيمة . ففي هذه المدينة اقسم هتلر ، قرب ضريح فريدريك الكبير ان يكون صنو هذا الملك البروسي العظيم .

وحسب هتلر ان فينك سيضم قواه الى قوى رايمان ويشق طريقاً الى برلين . ولم يدرك ان رايمان ، بعدما نجا من الطوق الروسي لم يفكر لحظة واحدة بزج نفسه وقواته ثانية في شدق الاسد .

على هذا ابرق الفوهرر يتعجل فينك المضي في زحفه قائلاً انه سيجد واحداً من ابواب برلين مفتوحاً في شباندو حيث وقف خمسة الاف من افراد الشبيبة الهتلرية واعمارهم تختلف بين اثنتي عشرة وثماني عشرة سنة ، يحمون باجسادهم هذا الممر الى برلين بوجه مدافع الروس وقنابلهم .

لم يبق من هؤلاء الآلاف الخمسة سوى خمسمائة فتى . ولم يقدّر لجنود فينك ان يطأوا الجسور التي حافظ عليها الفتيان البواسل بثمن باهظ ، اذ بدأ فينك يتراجع بجيشه نحو نهر الايلب .

•

كانت الاذاعة الالمانية تعلن كل ساعة ،طوال اليوم ،ان ادولف هتلر باق في برلين يدير دفة الدفاع عنها ويشـــجع الابطـال المدافعين ، فيما مضت اذاعة موسكو تردّد ان الروس بدأوا يطاردون هتلر وانه يجب القبض عليه حياً يرزق ! ولكن الروس شكوا في بقاء الفوهرر في برلين وحسبوا ان في الامر خدعة .

وازدادت الكارثة اقتراباً من النهاية . فقد استسلم اربعة عشر الفـاً من المدافعين عن برلين في يومين اثنين ، وهرب منهـم عدد اكبر من من هذا العدد ، وقتل منهم حوالي عشرة آلاف ، في حين اخذ الطوق الحديدي يطبق على برلين شيئاً فشيـئاً : هـا هم الروس قد وصلوا الى بيسمارك شتراسه عبر احياء شارلوتامبرغ الشمالية الغربية ،وفي الجنوب ركز الروس على باب « هال » مدافع تتحكم بساحة « بيل اليانس » التي لاتبعد سوى الف وخمسماية متر عن مستشارية الريش .

وتسلل بعض المشاة الروس من جهات عدة وتسلق نفر منهـم فندق « اوتيل ادلون » الذي لايبعد عن مدخل ملجأ الفوهرر اكثر من بضـع مئات من الاقدام .

بلغت معركة برلين الضارية اشدها وسالت الدماء انهراً فوق ارض برلين وتحتها ، واخذ الجنود الحمر يكنسون الالمان كنساً والالمان يأبون ان يستسلموا او يتركوا عاصمتهم الاجثة هامدة في ايدي الروس ... وفتحت مجاري المياه تحت نهر سبريه فجرفت الروس والالمان معاً .

عاصفة على الملجأ

بدأت المعركة تقترب من ملجأ المستشـــارية واخذت عواصف من الغبار والدخان تهب عليه فيما شرعت القذائف والرصاص وقصف المدافع تهز جدرانه وسقفه . ولم تلبث القنابل ان تساقطت عليه رأساً فاصابته منها عشرات في الوسط .

وانتشر الغاز والدخان في ممرات الملجأ وقاعاته وانتقلا الىٰ حجراته يفسدان هواءها ، فدارت المراوح الكهربائية تحاول طرد سحبها الملبدة .

وفي الخارج اتت القذائف الحـــارقة وقذائف مدافع الميدان على حديقة قصر المستشارية واشجارها ومزقت جثث الاحيـاء الذين بقوا في ابنية القصر ... كان مصير الحديقـــة صورة مصغرة لما اصاب حديقة الحيوانات التي امست الخندق الاخير للدفاع عن برلين .

تقلصت عاصمة الرايش الالماني حتى مسخت عشرة اميال مربعة بعدما كانت تمتد بعظمة وخيلاء على اربعمائة وثلاثين ميلاً مربعاً . اما قلاعها المنيعة وجدرانها الفولاذية وخطوط سيغفريدها فقد انقلبت ساحة مكشوفة انتشرت فيها الحرائب واختلطت ودرست معالم بحيرتها واشجارهـــا وبساتينها ومتنزهاتها وازهارها وحديقة حيواناتها .

هذه الحديقة العظيمة الشهيرة ، حديقة الحيوان « تيرغارتن » فخر الحدائق وبهجة برلين في زمن السلم ، امست في ايام الحرب الاخيرة شبه

قلعة حزينة قذرة ، تمزقت اشجارها الظليلة وبساتينها وحصدت مساكب ازهارها بمنجل الموت والدمار وفتحت صدرها ليمزقوه التمزيق الاخير.

حفرت فيها الخنادق ومراكز المدافع وانتشر فيها الجند والمدافعون من سكان العاصمة ... والجبهة الالمانية الحربية ، تلك التي انتشرت ذات حين حتى بلغت شطآن المحيطات وجبال القفقاس الاسيوية ، لم تبق ممتدة الا على حديقة حيوانات وقصر القيصر القديم ، وقصر الرايشتاغ المحطم ودار البريد والفيلهلمشتراسه مع قصور وزارات الرايش الممزقة ، وقصر المستشارية .

في ملجأ القصر وقف هتلر يوم الثامن والعشرين من نيسان ١٩٤٥ مضطرباً امام خرائط منشورة وجعل يرسم عليها اشارات محاولاً ان ينقذ ما يمكن انقاذه من عاصمته المحطمة المشوهة ايما تشويه .

كان اول نبأ سيىء تلقاه في ذلك اليوم ، نبأ سقوط مطار غاتوف البعيد خمسة عشر كيلومتراً عن برلين والمطار الوحيد الباقي للالمان يستخدمونه للوصول جواً الى برلين والهبوط بالطائرات الصغيرة على شوارعها العريضة ، اذ استولى الروس عليه .

وسرعان ما اتاه النبأ الثاني يعلن انفصال ولاية بافاريا عن الرايش بقيادة الجنرال فون ايب ، واستعداد هامبورغ وبريم هما الاخريان للانفصال وتنصيب امير بريطاني رئيساً لحكومتيهما .

ما كاد هتلر يصحو من وقع الخبرين المشؤومين حتى جاءته ضربة اعظم ، ضربة هائلة انقضت عليه انقضاض الصاعقة من حيث لا يعلم : سلمه خادمه رسالة فيها نبأ خيانة هملر .

صرخ هتلر صرخة الم دوت من هولها القاعة ثم انطلق يجر رجله نصف المشلولة جراً عنيفاً وتوجه الى غرفة المارشال غريم الجريح . واذا بصياح

هتلر ينبعث من الغرفة ، بعد لغط غير قصير : « كلا ! لن يخلفني خائن ما دام في عرق ينبض !»

« قم يا غريم ! أسرع واقبض على هذا الخائن هنريش هملر وأتني به لاناقشه الحساب وانزل به العقاب ! »

وخف غوبلز و كريبس وبورمان وبورغدورف الى الفوهرر. وكان وصولهم حافزاً لهتلر على الاسترسال في غضبه . فصاح والدم يكاد يتفجر من عينيه : هو ؟ هملر يغدر بي هذا الغدر ؟ تباً له من مخادع مجرم !

رفض الغرب ما اقترحه هملر من استسلام الجيوش الالمانية للدول الغربية ، وأصر عل ان يكون الاستسلام للشرق والغرب معاً . وعلى هذا بقي الحال على حاله . ولكن جريمة هملر كانت في نظر هتلر الخنجر الذي طعن به بروتوس سيده القيصر : « وانت الآخر يا بروتوس ؟ »

لوح هتلر بقبضته متوعداً والغضب يقيمه ويقعده ، وامر بان يأتوه بهرمان فيغلن ، قائد الحرس الاسود فلما مثل بين يديه ضارعاً متوسلاً بادره : « ايها الخائن ! كنت تعرف بخيانة هملر وحاولت ان تخفيها. »

— عفوك ! ما كنت اعرف بامر خيانة كهذه ، قبل الساعة .

ولكن أنى للفوهرر ان ينصت وقد افقده الغضب والالم صوابه !

استدعى هتلر المحكمة العرفية وعلى رأسها زعيم حرسه الخاص راتنهوبر وامره بان يحاكم فيغلين . وعبثاً حاولت ايفا براون ان تدافع عن حياة صهرها ، زوج اختها فيغلين المسكين ، قالت: « زوجته حامل وتوشك ان تلد . فهلا رحمته من اجل الطفل فلا تيتمه قبل ان يولد ؟ »

فكان جواب هتلر صارخاً : « لا رحمة للخونة ، ولا مكان للعواطف العائلية في شؤون الدولة . فيغلين خائن والخائن جزاؤه الموت ! كان ابداً من اقرب المقربين الى هملر ومن اصدق اعوانه ... »

بعد ساعة حين ساق الحرس الاسود فيغلين الى الموت طلب ان يرى ايفا براون . ولكن قائد كتيبة الاعدام رفض ان يأذن له بذلك ، وتابع موكب الموت سيره صاعداً درجات الملجأ الحلزونية السبع والثلاثين حتى بلغ احد جدران قصر المستشارية .

هناك خط فيغلين بضعة سطور على وريقة واعطاها قائد الكتيبة متوسلاً اليه ان يرسلها الى ايفا براون . ففعل القائد وهو يتودد الى المسكين الواقف على شفا قبره . ثم طلب فيغلين ان يدخن فلما قدم اليه القائد لفافة سقطت من اصابعه المرتعشة فسارع يلتقطها ويشعلها ويمتص منها، يهدىء اعصابه ،وجبينه ينضح بالعرق البارد .

لم يلبث الرسول ان عاد بالجواب ، فالقى عليه القائد نظرة ثم دسه في جيبه. واخرج من الجيب الاخر منديلاً ابيض عصب به عيني السجين وهو يقول باسف ظاهر : « تقول الآنسة براون انها لا تستطيع ان تفعل شيئاً من اجلك . »

ثم امر رجاله بالاستعداد، وامر باطلاق النار وفي اللحظة ذاتها سقطت قنبلة على حديقة المستشارية واحدث انفجارها دوياً عظيما طغى على طلقات الموت التي استقرت في صدر فيغلين .

كان الشاب مجندلاً وبقعة دم كبيرة تصبغ قميصه عند الصدر ونسيم نيسان يداعب خصلات شعره ...

وشطب اسم فيغلين من سجل الاحياء في الملجأ !

•

جعل الروس وهم يتقدمون تقدماً وئيداً ، يتأهبون للهجمة القاضية على مستشارية الرايش ، قلب الرايش الالماني الباقي على نبضاته في جسد مزق شر تمزيق ، مثل به الفاتحون تمثيلاً مرعباً .وتساءلوا : ترى هل بقي

هتلر يعنى بهذا القلب الدامي ؟

شاع ان هتلر مات. ولكن مستشارية الرايش هدف من اعظم اهداف الحرب يتحرق الروس شوقاً الى بلوغه . ففيه حيكت خيوط « الخيانة » لجوزيف ستالين ، وفيه يجب ان ينتقم الروس من خائني روسيا والغادرين بها !

اخذت الدبابات الروسية تطلق من محطة «انهالت» حممها على بوتسدامر بلاتز وبرلينرز شتراسه وهرمان غورنغ شتراسه . ولكن الملجأ ، ضريح النازية ، لما تطله ايدي الروس . والمدافعون الالمان يقاتلون كالاسود دفاعاً عن كل قدم من الارض ويحولون كل اكمة من آكام الخرائب جحيما بوجه الروس ، ويخوضون غمار سلسلة من المجازر الصغيرة حول الخرائب وفي داخلها وبين الانقاض وخلف هياكل الابنية الملتهبة القريبة من ملجأ المستشارية .

كان ابطال الشبيبة الهتلرية ، اولئك الفتيان الاشداء على صغر سنهم ، الاقوياء في ايمانهم ، المستميتون في الدفاع عن ارضهم ، يتساقطون كالعصافير يحصدهم صائد ماهر في اقفاص من نار... والكل ينتظر جيش فينك المنقذ الموعود ، وجيش فينك يأبى ان يطل ...

انقطع اتصال الملجأ بمراكز القيادة فاضاع الزعماء الالمان الدفة وصاروا يخبطون في الحدس والتخمين . كانت قوى فون مانتوفل قد مزقت تماماً ولكنها على الخرائط في مكتب الفوهرر كانت ماضية في الزحف ، فيما تنطلق اسراب سلاح الجو الالماني لتدعم الهجوم المضاد المنتظر على برلين !

اهاب هتلر بفون غريم ان ينهض باعداد هجوم يستخدم فيه كل ما تصل اليه يده من طيارات قصف . ودعاه ان يطير من ساعته الى مطار ريشلن ويأمر قادة الاسراب الجوية جميعاً ان يرسلوا كل ما لديهم من

طائرات على الفور .

ولكن آنى لفون غريم ان يتحرك، وقد هدّت الجراح حيله وتضخمت رجله وامتدّ فسادها الى دمه فصار كتلة آلام واوجاع .

اقترح فون غريم ان ترسل الاوامر من الملجأ ما دام هو عاجزاً عن النهوض . ولكن وسائل الاتصال بمراكز القيادات عطلت وسقط البرج الطائر الوحيد الذي استخدم حيناً لاتصال الملجأ بمقر القيادة العليا .

سأل فون غريم : «اين الخطوط الروسية» فرسم الفوهرر بيد مرتعشة خطاً على الخريطة وقال : « بلغني ان الروس سيشنون في الغد الهجوم الحاسم على مستشارية الرايش . فعليك ان تقصف جميع الطرق التي يحتشد فيها الروس ليشنوا الهجوم . بهذا تتاح لنا فرصة اربع وعشرين ساعة يستطيع فينك خلالها ان يصل الى هنا . »

كان ما يبنيه الفوهرر من آمال على جيش فينك، في الحقيقة، لا يقوم على اساس من الواقع . فكل ما كان لدى فينك ثلاث فرق لو استطاع ان يدخل بها الى برلين لطحنتها الجيوش الروسية الاربعة بدورة رحى واحدة !

قالت لي حنه ريتش تحدثني عن ذلك اليوم : « كان هتلر ، باوامره تلك يطلب معجزة . ففي حين صدرت اوامره كان الروس قد وصلوا الى زاوية الفيلهلمشتراسه قرب بوتسدامر بلاتز ، ولم يبق بينهم وبين ملجأ المستشارية ، الا بضع مئات من الامتار . »

تعهدت الطيارة الباسلة حنه ريتش بان تحمل فون غريم قائد سلاح الجو الاعلى من جحيم برلين وتنقله فوق خطوط الاعداء وتحط به على مطار ريشلن.

واثارت هذه المغامرة لغطاً كبيراً في الملجأ. وخف كثيرون من سكان

الملجأ الى اقلامهم يكتبون رسائل وداع الى العالم الخارجي يحملونها الرسولين الخارجين من هذا القبر الكبير .

وفيما كان هتلر يطمع بوصول فينك وجيش انقاذه ، كانت ايفا براون اقوى الرفاق ايماناً بان النهاية المفجعة محتومة ... وصلت الى برلين في الخامس عشر من آذار وهي واثقة بانها لن تخرج منها ابداً ، فلما نزلت الى الملجأ في الخامس عشر من نيسان ايقنت انها انما تدخل قبرها ، ولكن في ذلك انتصاراً لها ، فما طمعت باكثر من ان تتزوج الفوهرر وان تموت معه .

على هذا كتبت ايفا الى اختها في برشتسغادن ، قبل ان تعلم بقرب زواجها من الفوهرر ، تقول :

« اكتب اليك ايتها الاخت الحبيبة هذه الكلمات لكي لا تحزني لموتنا في الملجأ ، فانما حزننا عليكم اعظم انتم الذين قضي عليكم ان تعيشوا في الهاوية الآتية ومعها الذل ، منتهى الذل . اما انا فمرتاحة اذ اموت هنا ، بجانب الفوهرر ، مسرورة بانني سأنجو من هول ما ينتظركم على يد الاعداء من تفظيع ومهانة .

وبعد ، ما تراها تعطيني هذه الدنيا فوق ما اعطتني ؟ لقد قضيت منها وطري وبلغت مرادي ، وفزت مع الفوهرر بكل ما اشتهي ، فالموت الان بجانبه يتم سعادتي ، انها النهاية الحقة لامرأة المانية .

ثقي بهذا ولا تحزني ولا تتألمي ، واسلمي لشقيقتك »

ولكن فون غريم امر بتمزيق هذه الرسالة وهو يغادر الملجأ ، فانصاعت حنه ريتش للامر وادركت عاقبة انتشار هذا الكتاب ذات يوم ، ولقد تذكرت حنه هذا الكتاب حين روت لي مغزاه وان اختلف الاصل عن الرواية بالالفاظ . والمدهش في امره ان ايفا لم تذكر في رسالتها

شيئاً عن مصير زوج شقيقتها غريتل براون ، الذي اعدم في المستشارية على نحو ما رأيت قبل حين .

وقد اطلعتني غريتل لما قابلتها في غاريش على فقرة من رسالة كتبتها اليها شقيقتها ايفا في الخامس والعشرين من نيسان ، وفيها تقول : « قد تحين نهايتنا بين يوم ويوم او ساعة وساعة ، فعلينا ان لا ندع العدو يأسرنا احياء »

ولكن رسالة غوبلز الى ربيبه هارالد كاند اغرب من رسالة ايفا براون الى شقيقتها ، اسمع :

« عزيزي هارالد

« نحن محصورون في ملجأ الفوهرر في مقر المستشارية نقاتل من اجل شرفنا ، اما نهاية هذا النضال فالله وحده يعرفها ، ولكن ما اعلمه اننا لن نترك هذا الملجأ احياء كنا او امواتاً ، الا مكرمين شرفاء.

« قد تكون هذه الرسالة آخر ما تتلقاه مني ، فاوصيك بالا تفعل ما يخجل امك واباك ، واعلم اننا نستطيع ان نخدم شعبنا والوطن وان لم نبق احياء ، ولقد تكون انت الفرد الوحيد الباقي من اسرتنا لتحمل رسالة اجدادنا ، فاحرص على ان تكون اعمالك ابداً ، مما يرفع رؤوسنا ويجعلنا نفاخر بك .

« ستنهض المانيا بعد هذه الحرب ، ولكن بشرط ان تكون لها امثولات تأخذ بيدها في نهضتها وبعث قوتها وعظمتها ، ونحن هنا نريد ان نعطي واحدة من هذه الامثولات . لتكن انت اهلاً بهذه التضحية العظمى التي نذرنا انفسنا لها ونوشك ان نقوم بها .

« كن حذراً ولا ترتبك للفوضى الصاخبة التي ستسود العالم . ثق بان الكذب زائل حتماً ، وان نور الحق سينبلج وينتصر في النهاية . ستأتي

الساعة التي تظهر فيها للعالم اطهاراً ابرياء بطهر وبراءة معتقداتنا واهدافنا.

« الى اللقاء يا هارالد الحبيب ، وان لم يقدر لنا ان نلتقي ، حينئذ فاخر بانك تنتمي الى اسرة ظلت وسط العاصفة امام النازلة الكبرى ، امينة للوطن والفوهرر حتى النهاية ، امينة لقضيتها الطاهرة المقدسة . »

اما كتاب زوجة غوبلز الى هذا الفتى فجدير بان يحفظ للاجيال الآتية ، قالت هذه المرأة التي رسمت خطة نحر اولادها الستة مثلما انتحرت هي وزوجها :

ملجأ الفوهرر في ٢٨ نيسان ١٩٤٥

« ابني الحبيب

« نحن هنا جميعاً منذ ستة ايام ، نهيىء لانفسنا النهاية الوحيدة الشريفة لحياتنا الاشتراكية الوطنية .

« لست ادري ، اتصلك تحيتي الاخيرة هذه ام لا . وعسى ان تحملها اليك نفس رحيمة شفوق . فاعلم انني باقية هنا برغم ارادة عرابك ، لانني اردت ان اكون بجانبه حتى النفس الاخير ، وان الفوهرر حاول يوم الاحد الماضي ان يثنيني عن عزمي . ولكنك تعرف عرابتك حق المعرفة . لم يكن لي غير هذه السبيل فسلكتها . لقد تحطم مثالنا الاعلى وبزواله فقدت كل ما يشدني الى الحياة وما يغريني فيها من نبل وجمال ورفعة . فالعالم بعد هتلر والوطنية الاشتراكية فارغ لا يغري بالبقاء .

« على هذا اتيت معي بالاولاد وحزمت امري على انقاذهم من حياة ذل وفوضى . واحسب ان الله سيغفر لي ويفهم ما اقدمت عليه من تضحية . تمسك بالشرف فهو فوق كل اعتبار واحرص على ان تكون جديراً بالوطن واجعل من تضحيتنا هذه نبراساً لك في ظلمة الاحداث .

« تصرف الاولاد مدهش يرفع الرأس . انهم لا يتذمرون ولا يفارقهم

مرحهم ويصبرون صبراً جميلاً على الشقاء والحرمان والاخطار .

« امس زين الفوهرر صدري بشارته الذهبية ، وانني لفخورة بشارة حزبنا هذه . وأسال الله ان يعطيني القوة على اتمام المهمة الاخيرة العسيرة التي نذرت نفسي لها .

« لم يبق نصب اعيننا سوى هدف واحد : ان نخلص للفوهرر حتى الموت ، وانه لشرف عظيم ان تكون هذه نهايتنا .

« لي وصية واحدة اوصيك بها وهي ما تعلمته في الحياة فاحفظها طوال حياتك : كن مخلصاً مستقيما نحو نفسك ونحو شعبك ونحو وطنك.

« كن فخوراً بنا وبتضحيتنا . وحذار ان تستسلم للحزن .

« هذه الرسالة تحملها اليك حنه ريتش ، وهي الان تهم بالرحيل . استودعك الله وحبي العميق . عش من اجل المانيا !

عرابتك »

هيأ بورمان وهيغل وغيرهم رسائل الى دوائر الرايش في برشتسغادن وسالزبورغ . وتوالت عبارات التمني والتيمن على المارشال فون غريم وحنه ريتش فيما كانا يصعدان درجات الملجأ ...

حملت سيارة مصفحة حنه ريتش وفون غريم تحت جنح الظلام الى باب براند بورغ حيث تنتظرهما الطيارة الصغيرة . وكانت ومضات المعركة القريبة تنير شارع انتر دن لينذن الذي ستدرج عليه الطائرة قبل صعودها . وسرعان ما زج بفون غريم في الطيارة الضيقة ولحقت به حنه وجلست خلف المقود ، وسط رصاص اخذ ينهمر عليهما .

ودرجت حنه بالطائرة على الشارع حتى صعدت بها وهي تتعرج وتروغ من الطلقات المجنونة التي طاردتها من كل صوب ، وغابت بعد لحظات في ظلمة الليل تطوي الفضاء الى مطار ريشلن تاركة برلين بحراً مضطرباً بالحديد

والنار .

كانت الساعة الرابعة صباحاً حين وصلت الطائرة الى ريشلن . وما كاد فون غريم يترجل منها حتى اصدر اوامره الاولى بوصفه قائداً اعلى لسلاح الجو الالماني : « لتقلع كل طائرة جاهزة الى برلين وتضرب مواقع الروس التي تهدد مستشارية الرايش . »

ولكن اين هي الطائرات ؟ لم يكن هناك الا ضباط وطيارون بلا طائرات ...

بعدما ادى فون غريم هذه المهمة الاولى، انصرف الى المهمة الاكبر: « البحث عن هملر وسوقه الى ملجأ المستشارية مهما كلف الثمن . »

ابدلت حنه طيارتها في ريشلن فامتطت طيارة ابطأ منها من طراز «بويكر ١٨١» وانطلقت فوق الغابات متجنبة الخطوط الحديدية والطرق حيث المدافع الاميركية مشرعة تضرب كل ما يتحرك في الفضاء .

وصلت الطائرة الى لوبيك فنزل منها فون غريم وحنه وركبا سيارة الى بلوين ، مقر الاميرال دونتز قائد نصف الرايش الشمالي . وهناك عثرا على الضالة المنشودة وواجه فون غرايم طريدته هملر بالتهم الرهيبة التي يلصقها به هتلر . ولكن هملر قابلها بتحد وكبرياء وقلة اكتراث . فمن يتجرأ على مد يده الى هملر ؟ وماذا يكون مصير فون غريم اذا اصر على اعتقال هملر رغم الامر الذي يحمله من الفوهرر ؟

قال دونتز وكايتل ويودل ، رغم ما تضمنه امر الفوهرر ، ان هملر سيخلف هتلر اذا مات ، فيكون سيد المانيا المطلق . وكان هملر الى هذا يوهب من لا تعرف الرهبة سبيلاً الى قلبه ، بنفوذه وبالغستابو وفرق الحرس الاسود التي تأتمر اوامره ، وبمعسكرات اعتقاله الرهيبة وافرانه الجهنمية .

زواج وبيانه

بعدما هدأت عاصفة وداع فون غريم عاد سكان الملجأ الى همهم ومصابهم وصحوا ثانية على قصف المدافع يقترب منهم وينذرهم باقتراب الطامة الكبرى .

واستدعى هتلر قواده الى مؤتمر جديد حمي فيه وطيس النقاش في مصير برلين ، ثم خرج هتلر وتوجه الى حجرة ايفا براون .

كانت ايفا وقد خبرت وقع اقدامه طول اربع عشرة سنة ، تعرف حالة صاحبها من خفق نعاله ، فلما جاءها هذه المرة يجر قدميه جراً ويعرج باحداهما ادركت انه في ازمة نفسية خطيرة وانه يحتاج اليها مثلما يحتاج المريض الى الدواء .

دخل عليها فابتدرته بخبر رسالة تلقتها من الجندي الخادم غروسمان يقول فيها انه اذا صرع في المعركة الاخيرة سيموت سعيداً لانه حقق حلمه وتزوج بحبيبته وهنأه الفوهرر بهذا الزواج وباركه .

كان غروسمان هذا واحد رفاقه من الحرس الاسود قد تزوجا قبل يومين حين لحقت بهما خطيبتاهما الى قصر مستشارية الرايش وقد هنأهما هتلر وايفا بزواجهما . وترك الحادث اعمق الاثر في نفس ايفا وظلت تردد ذكره طوال اليومين .

واذ اوشكت ايفا ان تطلق لعواطفها العنان ، قطع عليها خلوتها

دخول ضابط يحمل برقية ، فتناولها الفوهرر واستوعبها بنظرة سريعة ثم تراخى في مجلسه ...

لو تجمع كل ما اصاب الملجأ من ضربات في تلك الايام العشرة الاخيرة وانقض على هتلر لما هزه مثلما هزته هذه البرقية ولما فعلت فيه فعلها . لقد ظل خلال الايام الستة الماضية يحلم بجيش الجنرال فينك ، فينك الجريء ، فينك المنقذ الجبار ، فاذا بهذه البرقية الصغيرة من المارشال كايتل تعلن باقتضاب : لم يبق لجيش فينك وجود ولا اثر !

سقطت البرقية على الارض فالتقطتها ايفا ، ولكنها لم تدرك هول الخبر الذى تنطوي عليه ، فما كانت العسكريات تمت بصلة الى عالمها . وقامت الكلبة بلوندي تنتزع الورقة من يد ايفا وتلهو بها .

خرج هتلر من الغرفة وابلغ غوبلز الخبر المشؤوم فاحنى رأسه واوفد احد السعاة الى المدينة ليعود ببعض الاخبار ...

راحت ايفا تتنزه في الملجأ ووجها يطفح بشراً ، ولما التقت مدام يونجه بادرتها هاتفة : « اليوم تنتظرك مفاجأة عجيبة ستشهقين لها »

وحسبت المرأة ان ايفا اعتزمت ان تنفذ خطتها للانتحار ، ولكنها دهشت اذ رأت عيني ايفا تبرقان فرحاً .

استدعى هتلر مدام يونجه ، امينة سره ، ليملي عليها بضعة سطور ، وكانت تلك اول مرة يملي شيئاً ليدون في مسودة دون ان يملي رأساً ليطبع على الآلة. كان منهوك القوى محطم الاعصاب يتكلم بقلب كسير ويملي آخر رغباته ووصاياه ، فيما قصف المدفعية القريب يهز الملجأ هزاً . قال :

« اما بعد ان انتهت سنوات النضال والقتال التي ابعدتني عن فكرة الزواج وتبعاته وقيوده ، فقد قررت اليوم ان اتزوج هذه الفتاة التي ظلت سنين طويلة الصديقة الصدوق وجاءت الى برلين المطوقة لتشاركني

مصيري »

كانت المفاجأة هائلة حقاً وكادت مدام يونجه تشهق : اذن هذه هي المفاجأة التي حدثتها ايفا بامرها .

اما ايفا فكان الزواج منتهى احلامها، ولو في ملجأ سيكون فيه قبرها . وهل تطمع باكثر من ان يتزوجها زعيم الرايش بعد طول الانتظار ؟

تنازل هتلر عن كل ما يملك للحزب النازي ، وترك مجموعة صوره الزيتية في ليتز ، المدينة التي قضى فيها شبابه في النمسا قائلا انها صور اشتراها (وان يكن الحلفاء لم يجدوا في اطنان الوثائق الالمانية الالف والاربعمائة ، وثيقة واحدة تتعلق بشراء صور زيتية)

وسمى الفوهرر مارتان بورمان منفذاً لوصيته ، ثم اضاف الى وثيقة اعلان زواجه فقرة لم يعرف تاريخ الزواج مثيلًا لها مذ كان زواج ، قال :

« ولقد اخترنا انا وزوجي الموت اجتنابـاً للاهانة او الاستسلام . ووصيتنا ان نحرق على الفور في هذا المكان الذي ظللت امارس فيه واجبي اليومي طول اثنتي عشرة سنة في خدمة شعبي العظيم »

وصل فالتر فاغنر، ضابط الاحوال الشخصية، مستجيباً لدعوة غوبلز، فترك هتلر امينة سره مستغرقة في كتابة الوصية ، وتوجه الى قرب المرأة التي اختارها زوجة له .

رد هتلر وايفا على اسئلة الموظف قائلين انهما كلاهما آريان سليمان من الامراض . وبعد ان تمت مراسيم الزواج المعتادة بمنتهى البساطة وقعت ايفا اسمها اول مرة : « ايفا هتلر براون »

كانت العروس ايفا ترتدي ثوباً للخروج من الحرير الاسود مربع الفتحة عند النحر تزينه وردتان ، وانتعلت حذاء من جلد اسوجي اسود عالي الكعب ، وقد رشقت في شعرها مشبكاً من ذهب وطوقت جيدها

باللؤلؤ، وزانت معصمها بساعة من البلاتين مزركشة بالماس .

اما هتلر فقد ارتدى سترته الرسمية الرمادية وسراويل داكنة وانتعل حذاءين اسودين عـــلى عادته . ووقف غوبلز وبورمان شاهدين للزواج وكانت مدام كريستيان ومدام غوبلز في طليعة مهنئات ايفا .

سألت مدام كريستيان هل هنأت هتلر هو الآخر، فقالت: «وكيف استطيع ان اهنئه ولم يكن ذلك اليوم يوم زواجه بل يوم نهايته . والحقيقة ان ذلك الزواج كان النهاية . على ان العرس لم يعدم بهجته. فقد شربنا الشمبانيا واصابني منها ثلاث كؤوس . »

لو نظر القوم في تلك الساعة الى برلين لايقنوا ان برلين كلها تشاركهم العرس بالوان من الالعاب النارية تقشعر من هولها الابدان . فالقذائف تتزاحم وتتصادم في سماء برلين مصحوبة ببريق احمر او ازرق او اخضر والقنابل تنفجر مرسلة اشعة صفراء وباصقات اللهب الروسية « كاتوشكا » تكمل هذه الجوقة العجيبة الرهيبة ...

سار الموكب الى غرفة الفوهرر حيث مدت مائدة العرس : هتلر وايفا متكاتفان ، وخلفهما الدكتور غوبلز وزوجته ، فمدام كريستيان والكولونيل فون بيلوف. وشرب هتلر بعض الخمر الحلو فيما كان الحضور يتناولون كؤوساً اخرى من الشمبانيا .

بعد حديث قصير ساده كثير من التصنع استأذن هتلر عروسه وضيوفه وخرج ، ليتم امراً راوده طويلاً في ايامه الاخيرة ، وهو ان يترك بياناً بتاريخ حكمه وسجلاً لابراز الاحداث في عهده .

وقف هتلر مرفوع الرأس رغم الهموم التي ناء بها كاهله ، يملي بيانه على ترودل يونجه امينة سره ، قال :

« تصرمت اكثر من ثلاثين سنة منذ العام ١٩١٤ ، عام ســـاهمت

بالحرب العالمية الاولى . وطوال هذه السنين الثلاثين عملت وجـــاهدت وفكرت بدافع واحد هو الحب والاخـلاص لامتي . ومن هذا الدافع استمددت القوة لآتي ما اتيته من خطير الاعمال ولاواجه ما واجهته من جليل الاحداث . وفي سبيل هذا الوطن المفدى ، انفقت وقتي وصحتي وقوتي ثلاثين سنة برمتها .

«ليست المانيا هي المسؤولة عن الحرب العالمية الاولى،ولا كانت هي مضرمة نارها . وكذلك شأنها في الحرب العالمية الثانية . فقد كذب من زعم ان المانيا هي التي ارادت حرب ١٩٣٩ . وما اراد الحرب واضرم نارها الا الدساسون والساسة المنحدرون من اصل يهودي او العاملون لصالح اليهود والمؤتمرون امرهم .

« ولطالما قدمت عروضاً لمراقبة التسلح العالمي وخفضه ستعترف بها الاجيال الآتية فلا تضع في عنقي هذه الحرب وتبعاتها وعواقبها . لقـد رغبت عن حرب عالمية ثانية بعد تلك الحرب العالمية الاولى الفاجعة،ولم اسع الى محاربة بريطانيا العظمى ولا اميركا . ولسوف تكر السنون والاجيال ولكن هذا الدمار الذي حل بمدننا وتراثنا وفنوننـــا سيبقى وسيزيد الحقد على المسؤولين عن آلامنا وكوارثنا، اعني اليهودية العالمية واعوانها . . . »

« قبل نشوب الحرب الالمـــانية ــ البولونية بثلاثة ايام عرضت مرة اخرى على السفير البريطاني حلاً للمشكل الالماني ــ البولوني ، شبيهاً بحل مشكل السار حين كان خاضعاً للمراقبة الدولية . ولم يرفض عرضي هذا الا بسبب الحكام البريطانيين الذين ارادوا الحرب طمعـــاً في الكسب ونزولاً عند نفوذ الدعاية اليهودية المنظمة . »

استراح هتلر قليلاً ثم عاد يذرع الغرفة هائجاً كالنمر الجريح واستطرد

يملي بيانه بصوت جهوري صارم ومدام يونجه تكتب :

«ولقد اظهرت لهم ، الى هذا ، بوضوح، ان هذه اليهودية العالمية اذا ظلت تعتبر امم اوروبا مجرد اسهم مالية تباع وتشرى فعليها تقع الواقعة في النهاية . ولم ادع لاحد مجالا لذرة من الشك في ان الحال اذا استمر على ذلك المنوال سيموت حتماً ملايين اطفال الشعوب الآرية في اوروبا جوعاً وفقراً ، ويقضي ملايين الرجال ويموت ويحرق ويباد ملايين النساء والاطفال بسيل من القنابل ينهمر على المدن،دون ان يصاب المجرم الحقيقي والمسؤول الاكبر باذى، ودون ان يكفر عن جريمته ولو بعقاب رحيم .

« بعد حرب استمرت ست سنين ، بعد حرب ستذكر يوماً في التاريخ على انها امجد واعظم جهاد قام به شعب من اجل حياته ووجوده، لا استطيع ان اترك عاصمة الرايش. وما دامت جيوشنا اقل مما يلزم للمضي في مقاومة هجوم العدو على هذه المدينة،فقد عزمت على البقاء فيها لاشاطر الملايين من مواطني المصير المرتقب ، وحزمت امري، بعد ، ان لا اقع في ايدي العدو وزبانيته اليهود .

« وقررت ان ابقى في برلين واخترت ان اموت ساعة يتضح لي انني عاجز عن المحافظة على صفتي كفوهرر ومستشار للرايش . سأموت مرتاح الضمير فخوراً بامجاد جنودنا وبطولة نسائنا وعمالنا .

« وانني اذ اكبر فيكم جميعاً هذه البطولة واهنئكم بها ، اقول لكم : لا تتركوا الميدان ، ولا تكفوا عن النضال لاي سبب من الاسباب . تابعوا القتال حيثما كنتم ضد اعداء الوطن ،فمن تضحية رجالنا ومشاركتي اياهم الموت في النضال سينبعث في تاريخ المانيا فجر نهضة عظيمة الاشتراكية الوطنية ، وتنمو بذرة اتحاد حقيقي للامم .

« ولقد اراد كثير من النساء والرجال الميامين ان يربطوا مصيرهم

بمصيري وحياتهم بحياتي حتى النهاية ، ولكني طلبت اليهم وامرتهم بان يعدلوا عن هذه الفكرة لكي يساهموا بنضال الامة جديداً . ووصيتي الى قادة الجيش والاسطول وسلاح الجو ان يقووا روح المقاومة في نفوس جنودنا على صورة الوطنية والاشتراكية ومثالها . اما انا فقد فضلت الموت على الاستسلام » ...

ترك هتلر مدام يونجه غارقة في ما دونت من بيانه ، وعاد الى ضيوفه . واختلى بغوبلز حيناً يحدثه حديث جد ، فكأنه لم يتزوج قبل لحظات . واكب مع غوبلز على طائفة من الاسماء يشطب منها ويضيف اليها اسماء جديدة ويشاور محدثه ، ثم اخذ اللائحة ورجع الى امينة سره .

كان اول ما بادر به مدام يونجه صرخة كأنها قذيفة مدفع ، هرمان غورنغ مارشال الرايش السابق مطرود من الحزب ومحروم من كل حقوق يتمتع بها حسب بياني الى الرايشتاغ يوم اول ايلول ١٩٣٩ . وكذلك اطرد من الحزب هنريش هملر وزير شؤون الرايش الداخلية وقائد الحرس الاسود .

ثم استطرد وقد خفت حدة غضبه :

« ولكي يكون للشعب الالماني حكومة قوامها رجال شرفاء محترمون ، وتستطيع ان تقوم بواجب متابعة الحرب بجميع الوسائل ، عينت هؤلاء الاعضاء :

« رئيس الرايش : كارل دونتز ، مستشار الرايش : الدكتور غوبلز ، وزير الحزب : بورمان ، وزير الشؤون الخارجية : زايس انكوارث ، وزير الشؤون الداخلية : غيلر ، وزير الحرب : دونتز ، قائد الجيش الاعلى : شورنر ، قائد الاسطول الاعلى : دونتز ، قائد سلاح الجو الاعلى : غريم ، قائد الحرس الاسود ومدير الشرطة الالمانية : هانكه ، وزير

الاقتصاد الوطني : فونك ، وزير الزراعة : باك ، وزير العدل : تيراك ، وزير التربية الوطنية : الدكتور شيل ، وزير الدعاية : الدكتور نومان ، وزير المال : شفيرين فون كروزيغ ، وزير العمل : الدكتور هوبفاور ، وزير المؤن الحربية : ساور ، رئيس جبهة العمل الالماني وعضو حكومة الرايش : وزير الرايش الدكتور لاي .

« وأطلب الى الالمان جميعاً ، الى الوطنيين الاشتراكيين ، رجالاً ونساء ، الى جميع القوى المسلحة ان يخلصوا لحكومة الرايش الجديدة ورئيسها وان يطيعوهما ويأتمروا اوامرهما .

« واول ما اوصي به زعماء الامة ان لا يتراخوا في مكافحة عدو الامم الاكبر وسمها الناقع ، اعني اليهودية العالمية . »

•

كانت الساعة الرابعة صباح التاسع والعشرين من نيسان حين وقع ادولف هتلر وصاياه ومراسيمه ووقع بعده غوبلز وبورمان وبورغدورف وكريبس بوصفهم شهوداً .

وما كاد هتلر يخرج من الغرفة وتهم مدام يونجه بالخروج بعدما هدها السهر والتعب ، حتى دخل غوبلز ليضيف الى مراسيم هتلر هذه الحاشية :

« امرني الفوهرر ، عندماينهار الدفاع عن برلين ، ان اغادرهاواساهم بالحكومة التي عينها . ولكني ارفض ، اول مرة في حياتي ، رفضاً قاطعاً ان اطيع امر الفوهرر . وزوجتي واولادي يوافقونني في هذا الرفض المبرم. لقد اعتزمنا ان نبقى مع الفوهرر حتى النهاية . ولن نغادر برلين. »

خرجت مدام يونجه اخيراً لتنام في المخدع العام . وفي الجهة الثانية من الممر كانت ايفا براون تستقبل زوجها ... ودقت الساعة الخامسة حين اغلق الباب وراءهما .

دماء على برقية

تساقطت المواقع الحصينة الاخيرة في برلين بايدي الروس: احتلوا آخر مركز يحمي بناية الويلهشتراسه ، واستولوا على قصر الرايشتاغ وارتفع العلم الاحمر فوقه . ثم رفرف علم آخر على قصر وزارة الشؤون الداخلية . وضاق الطوق الروسي على اوندر دن لينذن وبوتسدامر بلاتز واقترب الخطر من قصر المستشارية .

سأل هتلر الجنرال كريبس في صباح التاسع والعشرين من نيسان : أصحيح ان مدافع الجنرال فينك تقصف مواقع الروس في شارع بوتسدامر بلاتز ؟

كان كريبس على يقين من ان فينك آخر من يستطيع بلوغ هذا الشارع . ولكنه اوفد رسولاً ليقف على جلية الامر . وعاد الرسول بالجواب سريعاً : فينك بعيد عن بوتسدامر بلاتز بعد الارض عن السماء ! ورجع مع الجواب باخبار اخرى : استولت فصيلة اخرى روسية على باب براندبورغ واخذت تجوب البقعة تجاه دار السفارة الاميركية المدمرة . واستولى الروس ، الى هذا ، على بناية البريد المركزي .

تحول شارع اوندر دن لينذن ، ذلك الشارع العظيم الشهير في التاريخ ، ومسرح امجاد الالمان ، الى ساحة مرعبة مكتظة بالاشجار المقطوعة واكياس التراب وشظايا القنابل والبنادق المحطمة وفوارغ

الرصاص ، هي الحاجز الوحيد الفاصل بين ملجأ المستشارية وجحافل الروس.

سأل هتلر الجنرال كريبس ، وهو مكب على الخارطة : هل رأيتم واحدة من طائرات فون غريم فوق برلين ؟ فاجابه بان الجو ملبد بالغيوم ولعل الطائرات الالمانية تنتظر انقشاعها لكي تضرب الروس .

وتعاقبت اسئلة هتلر على كريبس والحيرة بادية فيها . لقد اقتربت الساعة الرهيبة وصارت الهزيمة محققة . ولكنه لم يفكر بالهرب .

كان انهيار هتلر تاماً لا يقل عن انهيار نابوليون . ولكن بونابرت لم يبق جامداً في مكانه لا يبدىء ولا يعيد . لقد ركب البحر وفكر بالهرب الى اميركا او المكسيك او اسبانيا . وما كان ادولف هتلر باقل حظاً من نابوليون في النجاة . فهناك بلدان كثيرة ترحب به ، وعلى رأسها الارجنتين حيث اكبر الناس عبقريته وقدسوها .

هناك اسبانيا حيث يجد الدكتاتور الالماني دكتاتوراً يحسن وفادته ويعنى باخفائه ، وان يكن لم يمش في الحرب مع المحور . ويستطيع هتلر اخيراً ان يلحق بحليفه وشريكه موسوليني الذي ما يزال الدوتشي الحي في قلوب الكثيرين وان طرد من روما ...

جلس هتلر وزوجته ايفا الى المائدة والحزن يخيم عليهما رغم تظاهر ايفا بالانشراح وابتسامها بين حين وحين . واذ كانا ساهمين دخل عليهما لينغه ، الوصيف ، مسرعاً وبيده كشف بحوادث النهار ملتقطة باللاسلكي عن وكالة رويتر ، قدمه للفوهرر .

انتفض هتلر فجأة واراق الشاي على الورقة المبسوطة امامه . وسارعت ايفا وبيدها منشفة فبادرها هتلر بصوت مختنق : عبثاً تحاولين يا ايفا ان تجففيه : انه دمي ... دمي ودمك ! »

ارتسم سؤال في عيني ايفا وهي تقترب من زوجها ، فنظر اليها نظرة

كسيرة وقال : « ايفا ! مات بينيتو موسولبني . اعتقله الانصار الطليان فيما كان يحاول ان يهرب من ايطاليا الشمالية الى سويسرا وساقوه الى محكمتهم وحكموا عليه بالموت ونفذوا فيه الحكم بان اطلقوا نيران رشاشاتهم على ظهره ، وكذلك فعلوا بعشيقته كلارا بيتاشي ، ثم جروا جثتيهما ومثلوا في الشوارع بهما شر تمثيل وشنقوهما من ارجلهما في حديقة عامة . »

انقض الخبر على ايفا انقضاض الصاعقة . كانت تنتظر الموت بشجاعة بعدما حزمت امرها عليه مع زوجها ادولف . ولكن لم يخطر لها ان جسمها البض الجميل قد يصير الى ما صار اليه جسم الحسناء كلارا بيتاشي... وانخرطت في البكاء ...

استدعى هتلر الدكتور شتومبفيغر ، وقدم اليه انبوباً صغيراً فيه نصف ملعقة من سائل عنبري وقال : جرب هذا في كلبتي بلوندي .

خرج الطبيب . وان هي الا بضع دقائق حتى سمع عواء مريع كعواء حيوان يفصل لحمه عن عظمه ، وعقبه عواء فجائي هائل ثم ساد السكون... وعاد الطبيب يعلن نجاح التجربة .

واذ كانت ايفا جالسة تشد على منديلها شداً عصبياً اليماً ، مضى هتلر يتحدث الى طبيبه بامر الميتة المزدوجة التي اعدها لنفسه ولزوجته .

عرض هتلر ان يجهز عليه بعد شربه السم ، مرافقه غونش برصاصة يطلقها على رأسه ليكون الموت محققاً . ولكن الطبيب افهمه ان لا حاجة به الى مرافقه لان هذا السم لا يؤدي الى موت فوري بل يدع لشاربه فرصة كافية ليطلق النار على نفسه .

ويلتفت الطبيب الى ايفا يسألها هل هي مستعدة وهل تملك الشجاعة الكافية للاقدام على هذه الفعلة المرعبة فتجيبه ان نعم ، وهي تتشدد في

مجلسها وتكاد تمزق منديلها . ثم يوصي الطبيب محدثيه بالحذر في تسديد المسدس قبل شرب السم والا استحال هذا التسديد بعد التسمم لان الاعصاب تتراخى حتما في اللحظة الحاسمة .

واخرج هتلر مسدسه وهو من طراز فالتر وعيار ٧ ملمترات و٦٥ ، ووضع فوهته في فمه وسأل الطبيب هل تنجح هذه الطريقة ، فاجاب بالايجاب .

كانت الدموع ، بعد ، تبلل وجنتي ايفا وهي تردد : نعم نعم كلما سئلت رأيها في ما يدبره الرجلان . ولما سال الطبيب ايبقي ام يذهب ، حاسباً ان هتلر سينفذ خطته على الفور ، امره الفوهرر بالانصراف وامر صف ضابط من حرسه بان يقتل كلبي ايفا ومدام كريستيان وجراء بلوندي اليتامى ...

طرق على الباب

اصبح ملجأ المستشارية كسفينة تتقاذفها الامواج وتسرع بها الى هاوية فاغرة فاها لا تبدعها . ولكن ربان هذه السفينة ابى ان يسلم قيادها ويّغرقها واصر على المكافحة حتى النهاية .

قال لي اوغوست فولنهوبت حلاق هتلر : « كان الفوهرر هادئاً كالحمل ضابطاً اعصابه ، وعاصفة الحديد والنار تقترب من الملجأ وتوشك ان تجرفه . لم يكن يرف له طرف وانا مشغول بقص شعره وحلق ذقنه . على انه ظل ساهماً ، ينبعث من عينيه بريق عجيب . »

لم تكن الحرب تخيف هتلر ولا استطاعت الكوارث ان تنال من كبريائه او تزعزع ثقته بنفسه وعناده العجيب في مجابهة الاخطار ومغالبة صروف الدهر ... اقترب الروس من قصر المستشارية ولم يبق بينهم وبينه الا مجموعة او مجموعتان من الابنية ، واخذت يدهم تمتد لتقبض على هتلر ، ووقف هو ثبت الجنان يواجه الجيوش الحمراء الجرارة بعناد فذ ويأبى ان يتراخى او يستسلم ويأبى ان تنم حركاته على بادرة ضعف .

لم يبق امام هتلر الا طريق واحدة للخلاص : الانتحار . ولكنه اطال امد التنفيذ .. اخترقت القنائل والقذائف سقف طبقة الملجأ العليا وانهارت بعض اجزائه على سطح الطبقة السفلى ، ولكن هتلر ظل يجالد ويرجىء تنفيذ خطته . ووقف من في الملجأ بانتظار الصاعقة على رؤوسهم ، فانقطع الهرج

والمرج وخفت الحركة في قاعة انتظار الفوهرر ، وما بقي القادة يرفعون عقائرهم طالبين اطلاع الزعيم على الحالة العسكرية . وشرعت الابواب فلم يبق عليها حراس ساهرون يمنعون اقتراب المتطفلين . وكان التدخين ممنوعا بامر الفوهرر ، ولكن الحظر رفع في تلك الايام الاخيرة القريبة من الموت قاب قوسين .

بقي هتلر ، وقد ازداد ارتجاف يديه وانحاء ظهره ، ينتظر بهدوء ساعة الموت . وبقي معه الجنرال كريبس والجنرال بورغدورف وقد اصرا على ان يلازماه حتى الموت ، فيما انصرف الدكتور غوبلز بانتظار الساعة الفاصلة يكتب تاريخ النهاية . اما السفير هيغل فقد اعلن رغبته في الموت وهو يقاتل الروس في الشوارع الباقية من برلين .

لكن غيرهم كثيرين لم يختاروا الموت ولا نشدوا الاستشهاد . فقد استأذن الضباط الشبان الثلاثة : الماجور بيرندفون لورينغوفن والكابتين غيرهارد بولت والليوتنان فايس من رئيسيهم الجنرال كريبس والجنرال بورغدورف للخروج من الملجأ .

ومثل الضباط الثلاثة امام الفوهرر قائلين انهم رسموا خطة للوصول الى الجنرال فينك . وتحدثوا معه بامر التسلل عبر الخطوط الروسية في مركب كهربائي يعبر بهم نهر هافل ، فاذن لهم بالرحيل .

ونال الكولونيل نيقولاوس فون بيلوف ، مرافق هتلر في شؤون سلاح الجو ، هو الآخر ، اذناً بمغادرة الملجأ ...

ومضت مدام غوبلز تعنى بزينتها كأنها لن تقدم بعد حين على الانتحار مع زوجها وعلى نحر اولادها الستة امام عينيها !

ومدام يونجه انصرفت الى العناية بالاولاد بعد ليلة لم تذق فيها طعم النوم ، بعدما رأت ستة نعوش اعدت للاولاد الستة الابرياء ...

قالت مدام يونجه تصف هتلر في ايامه الاخيرة : « انطفأ كثير من ذلك البرق الخاطف الذي طالما التمع في عيني هتلر ، واصبحت ابوابه جميعاً مفتوحة فلا حاجة للاستئذان عليه . وشق عليه في النهاية ان يبقى وحيداً فامسى يحادث اياً كان ويجلس مع اي كان . »

اصبح حديث انتحار الفوهرر على كل شفة ولسان في الملجأ . فالجميع يترقبون الساعة التي يتناول فيها السم ،ويتساءلون: ترى متى يصل الروس ويطرقون باب الملجأ ؟

كانت المدافع ترعد خارج الملجأ ويقترب دويها اكثر فاكثر في ليلة الاحد الليلاء تلك التي جاء فيها اكسمان يباحث هتلر بامر الدفاع عن نهر هافل فيجتنب هتلر ان يخوض معه في نقاش عسكري ويعود الى حديث خيانات الخائنين ويذكر بالم اولئك الاربعة المارقين : فيغيلين وغورنغ وهملر وشبير ، ويطيل التأمل في حملة الجنرال فينك حاسباً ان هذا القائد يقاتل جنوب غرب بوتسدام ليشق طريقه الى برلين ...

اوى هتلر الى غرفته متعباً . ولم يتناول الشاي مع امينات سره في تلك الليلة ، اول مرة منذ شهور . وفجأة طرق الباب ، وسأل الدكتور شتومبفيغر : هل من خدمة اخرى اؤديها للفوهرر هذه الليلة . وكأنه يقول : هل اعتزم الفوهرر ان ينفذ خطة الانتحار ؟ ولما دخل الفرقة بادله هتلر بعض الحديث عن نهاية معركة برلين وهجوم الجنرال فينك . ثم انصرف الطبيب من حضرته .

•

اخذ جنود القوزاق والمغول يقتربون من طريدتهم ، ذلك الزعيم الذي خدع زعيمهم وغدر به في العام ١٩٤١ حين اعلن الحرب على روسيا، يتقدمهم جدار من النار والحديد والدخان . وما كان هتلر، بعد، قدقطع

الرجاء من فينك وهجومه لانقاذ المستشارية وبقايا برلين ، واول ما سأل عنه في ذلك الصباح المشؤوم صباح الثلاثين من نيسان ١٩٤٥ : اين فينك؟ ثم سأل عن فون غريم الذي ذهب ليقبض على هملر ،وعن مصير هملر هذا.

ولكن انى لجماعة الملجأ ان يجيبوا وقد انقطعوا عن العالم ؟

وجاء بورغدورف يقول للفوهرر متلعثماً متردداً ان الحالة في بقعة فيلهلمشتراسه لم تتحسن اثناء الليل وان الغزاة الروس دخلوا محطة سكة الحديد الارضية في فريدريكشتراسه واستولوا على الطبقة السفلى من شارع فوشتراسه وعلى احدى زوايا هذا الشارع واجتازوا بوتسدامر بلاتز وجسر فيارندام .

ولما ادرك بورمان ان النهاية دنت اذاع امراً بالراديو الى الحرس الاسود في برشتسغادن يقول فيه ان الحالة ازدادت سوءاً في برلين ، وان عليهم ، اذا سقطت العاصمة ان يعدموا جميع الخونة ابطال حادث الثالث والعشرين من نيسان وعلى رأسهم غورنغ .

وانصرف بورمان والقادة الى الخمرة يغرقون بها همومهم . وخفت ايفا زوجة هتلر الى مدام يونجه تكشف لها عن هلعها من المصير الذي يترقبها. وخرجت مدام غوبلز الى القاعة العامة مرتدية ثوباً للربيع تزينه شارة الفوهرر الذهبية ، وتذرف الدمع ، يرافقها زوجها مرتدياً ثوباً ازرق انيقاً .

كان دوي المعركة الرهيب يقترب باطراد وتتخللها قعقعة ابنية تدك دكا لا مثيل له في التاريخ . وضاق سجناء هذا الملجأ الفولاذي صدراً بهذه العزلة فخرجوا ينشدون التفريج عن نفوسهم .

حتى هتلر تملكه الملل وضاق به الملجأ على رحبه ، فخرج الى الحديقة معتمداً على ذراع هاميرن كارنو احد حراسه . وهناك كان المشهد الذي

رآه يبعث الهلع : فسماء برلين ملتهبة وحمرتها تكاد تضاهي الدم القاني فكأنها الجحيم صعد الى السماء !

عاد هتلر الى مكتبه فاذا عليه بضعة اخبار اتت بها برقيات رويتر : اتصل جيش فينك الثاني عشر بجيش بوس الثامن ... ولكن كل ما بقي من الجيش التاسع هو فلول هزيلة من رجال مشتتين منهو كي القوى جياع وصلت الى نهر الايلب فاستقبلها ما بقي من جيش فينك بعد تراجعه من بوتسدام ...

مضى الجند والرسل وموظفو المكاتب في اقسام الملجأ الاخرى يروحون ويغدون في الممرات الواصلة بينهم ويتبادلون الاخبار والشائعات . كانوا جميعاً يعرفون ان هتلر قرر ان ينتحر ، وسادهم القلق والاضطراب اذ ايقنوا ان النهاية على الابواب . وكان منهم من انتظر موت الفوهرر بفارغ صبر ليهرب من هذا السجن المرعب فلا يموت كالفئران في مصيدة .

قالت لي البارونة فون فارو حين قابلتها اخيراً ان غوبلز وزوجته كانا اشد سكان الملجأ اهتماماً بانتحار هتلر ، واعترف لي الكابتن بولت الذي خرج من الملجأ مع رفيقيه الضابطين الشابين ، بتلك الطريقة المعلومة ليجتازوا النهر ويحاولوا الاتصال بالجنرال فينك ، قائلًا : « الحقيقة اننا ترقبنا ان ينتحر هتلر لنصبح احراراً في تصرفنا بعد ان دنت النهاية . »

دقت ساعة الغداء في ذلك الجو المحموم . والمرء ، وان يكن مشرفاً على الموت ، يظل يأكل ما دام الطعام بمتناوله . ففي السادس عشر من تشرين الاول ١٩٤٦ حين ايقظ الحرس ريبنتروب وكايتل ويودل وفرانك وبقية المحكوم عليهم بالموت ، في هدأة الليل ليسوقوهم الى المشنقة قدموا لهم الثياب ثم الطعام فاكلوا ! ترى من اين تأتي المرء الشهية وهو على

باب الموت ؟

كان جلساء هتلر الى المائدة زوجته ايفا ومدام يونغه ومدام كريستيان والانسة مانزيالي ، وانقضى الغداء في شبه صمت ولم تتخلله الاحاديث المعتادة عن الانتحار ! ولما فرغوا من الطعام امر هتلر مدام يونجه بان تتلف ما بقي من الاوراق في محافظ الملجأ وفيها المسودة المختزلة لوصيته ومحاضر المؤتمرات العسكرية. ثم توجه الى مكتبه واستدعى غانش وظل يحادثه نصف ساعة .

خرج غانش من مكتب الفوهرر مضطرباً محني الظهر وسارع الى الهاتف ليتصل بمرأب مستشارية الرايش . وبعد حديث هاتفي بصوت خافت توجه الى غرفة حرس الفوهرر واسر اليهم امراً فهبوا مسرعين وصعدوا السلم ورشيشاتهم بايديهم . ثم رجع غانش الى مكتب هتلر.

وكانت ايفا ، في اثناء ذلك قد اوت الى مخدعها ، ورجعت مدام كريستيان الى حجرتها ، وذهبت مدام يونجه الى الطرف الآخر من الممر في حين راحت الانسة مانزيالي تعد الطعام في المطبخ .

وفجأة عبق الملجأ برائحة وقود قوية . ولكن لم يسأل احد عما حدث لان جماعة الملجأ دهشوا لمنظر رأوه في الممر : الفوهرر يتأبط ذراع ايفا الشاحبة المتشحة بالسواد .

كان جلال عجيب ، لعله جلال الموت ، يزيد هتلر مهابة ووقاراً . وقد ترك منظره وزوجته بجانبه ، في النفوس رهبة واجلالاً ، وكأنما وقف قربهما شبح ثالث يرنو الى الحاضرين ، هو شبح الموت .

التف حول هتلر الجنرال كريبس والجنرال بورغدورف ، ومارتان بورمان ، والدكتور غوبلز وزوجته ، ومدام كريستيان ، وايلزه كروغر ، ومذموازيل مانزيالي ، ولانغه وغانش ، وراتانغوبر وغيرهم

من حرس الفوهرر ليودعوه الوداع الاخير .

واخذ هتلر يصافحهم واحداً واحداً ويخاطب كلاً منهم ببضع كلمات فيها شيء من الارتباك . وحين وصل الى مدام غوبلز لم تملك اعصابها فهتفت : كلا ايها الفوهرر ! لا تفعل ما انت عازم عليه . اضرع اليك الا تفعل . اننا محتاجون اليك . المانيا تنتظرك والعالم بحاجة ماسة اليك » . وانهمرت الدموع على وجنتيها المطليتين ولكنها لم تفقد شيئاً من جمالها ورونقها .

مال غوبلز على زوجته يكفكف دمعها ، فيما ترقرقت دمعة في عين هتلر وقال والغصة تقطع كلماته : « ذلك هو السبيل الذي اخترته ولم يكن منه بد . » والتفت الى الدكتور غوبلز وقال له : وانت يا غوبلز احفظ وصيتي الاخيرة هذه : احرص على ان تحرق جثتي وجثة زوجتي حرقاً جيداً . تلك امانة في عنقك .

وعصاه الكلام وهو خطيب خطباء القرن العشرين ...

لاحظ غانش الذي عهد اليه الفوهرر بتنفيذ خطة الانتحار والحرق بحذافيرها ، ان مدام يونجه ليست بين الحاضرين فناداها فجاءت تعدو .

قالت مدام يونجه تصف لي المشهد : « كنت آخر شخص صافحه هتلر . ولكني اظن انه لم يعرفني ، اذ كان ساهم البصر ينظر الى شيء بعيد في ما وراء جدران الملجأ . . وقد تمتم بضع كلمات لم افهم منها شيئاً . كانت شفتاه تتحركان ولكن كل ما خرج منها غمغمات مبهمة ... وجاء دور ايفا فصافحت الحاضرين هي الاخرى ، وعانقتني وقالت « اذهبي الى مونيخ ... حاولي بكل الوسائل ان تصلي الى مونيخ واروي حبي للفوهرر وقصي قصة زواجنا . »

وصل الفوهرر الى مكتبه يرافقه تابعه الامين غانش ، واخذ يعد

العدة للانتحار . واشار الى غانش : ان اغلق الباب ، ففعل ووقف جامداً ينتظر اوامر سيده .

وحضر اربور اكسمان لكي يودع الفوهرر اذ فاته مشهد الوداع الاخير . ولكن غانش اشار اليه الا يأتي بحركة ، ففهم وانسحب الى غرفة المؤتمرات حيث وقف ينتظر مع الجنرال كريبس والجنرال بورغدورف وغوبلز وبورمان .

ولم يستطيع ايريك كامبكا ، سائق هتلر ، ذلك الذي طاف به نصف اوروبا وبقي في خدمته اربع عشرة سنة ، ان يودعه هو الآخر ، الوداع الاخير . وكان هتلر يحب كامبكا حباً جماً . وكثيراً ما زاره وزوجته الحسناء في بيتهما الصغير في حديقة مستشارية الرايش .

على ان هملر ، وهو الضنين بقرب الفوهرر ، الغيور من كل من يدانيه ، طلب ان يطلق كامبكا زوجته لان امها طليانية . واشتكى كامبكا الى هتلر ولكن هذا تجنب نقاشاً مع هملر وتم الطلاق . ولكن الزوجين ظلا يعيشان معاً وتزوجا ثانية بعد الحرب .

الانتحار

هذا فصل المأساة الاخير يوشك ان يتم : في وسط جدران الممر الطويل الفسيح المزدانة بالرسوم واللوحات الزيتية ، باب كبير يؤدي الى قاعة انتظار الفوهرر . وفي صدر هذه القاعة وقف غونش كالصنم . وقرب القاعة غرفة المؤتمر وفيها وقف كريبس واكسمان وغوبلز وبورغدورف وبورمان لا يتحركون ووجوههم شاحبة كأنها وجوه من شمع في متحف . والى اليسار سلم حلزوني يؤدي الى طبقة الملجأ العليا حيث وقفت زوجة غوبلز تنتظر ومن حولها اولادها يلعبون .

وقف اعوان هتلر على خشبة هذا الفصل الاخير من المأساة لا يبدئون ولا يعيدون منتظرين اللحظة الرهيبة ، «وانغام» معركة برلين القريبة تصل الى الملجأ داوية تزيد الموقف رهبة وخشوعاً ، وبعض قذائفها يتساقط على سطح الملجأ فيتردد الصدى في ارجائه وتهتز الانوار من شدة الانفجار .

... وفجأة دوى في مكتب هتلر طلق مسدس ، فقفز الواقفون في حجرة المؤتمرات . ثم انطلق اكسمان ولحق به غوبلز ووصلا الى باب المكتب ، فافسح لهما غانش الطريق فدخلا الغرفة .

كانا يتوقعان المشهد ، ولكن منظره اخافهما فتراجعا امام الحقيقة . كان هتلر مكباً على وجهه منحنياً من مجلسه في مفرش طويل ، وذراعاه مشبوحتان ورأسه على طاولة صغيرة ، وقد سالت الدماء من فمه المفتوح

على السجادة . وظهر مسدسه عن يمينه ملقى على الارض .

اما ايفا فكان رأسها مسنوداً الى كتف هتلر اليسرى ، وفمها نصف مفتوح وعيناها نصف مغمضتين ، ومسدسها من نوع فالتر وعيـــار ٦ مليمترات و ٣٥ ، ملقى عند قدميها ولكن لم تطلق منه النار .

دخل الدكتور شتومبفيغر وفحص الجثتين . ثم اجلس جثمان ادولف هتلر ولاحظ ان على كلا الصدغين دماء : كان ضغط الانفجار في الفم قد مزق الشرايين في جانبي جبهة الفوهرر ، فيما سرى السم الزعـــاف في الجسم : مات الفوهرر !

لم يكن على وجه هتلر تلك المسحة التي ترتسم على وجه المنتحر ، بل ظهر عليه ما يوحي بانه قتل قتلاً . وكأنما قتله اولئـك الذين غدروا به وخانوا عهده : فينك ، شتينر ، هولست ، بوس وبقية طغمة المارقين .

اما ايفا فكان الطابع المرتسم على وجهها وموقع يدهـا ومسدسها ، يدلان على انها استصعبت الموت واحجمت عنه في اللحظة الاخيرة ، حتى ان هلعها وتراخيها بعد سريان السم في عروقها ، لم يدعا لها القوة لتضغط زناد المسدس ... ماتت ايفا براون .

•

بقي اكسمان وغوبلز في الغرفة دقائق عدة يتأملان هذه النهاية المريعة ولعلهما تساءلا : علام لا تخرس مدافع الروس وتكف طيارات الاعداء عن هديرها وعربدتها ، بعدما ثبت الملجأ بوجه المهاجمين ورد نيرانهم وشق صدورهم كما تشق الدارعة جوف الموج ، وظل يحافظ على الفوهرر ويحميه .

اسدل لينغه ، وصيف هتلر الامين ، ستاراً على الجسدين ودخل مارتان بورمان الى الغرفة وحمل جثمان ايفا وقدمه الى ايريك كامبكا السائق . ومن خلف هذا الحمل المتشح بالسواد ، استطاع كامبكا اخيراً ان يلقي

نظرة الوداع الاخير على سيده .

اما جثمان هتلر فقد تعاون لينغه وشتومبفيغر في حمله بعدمـــا لفّاه باحد الاغطية ، وخرجا به من غرفة الموت واجتازا قاعة الانتظار فالممر الفسيح حتى السلم . وقرب السلم جاء غانش يحمل جثمان ايفا من السائق كامبكا . وصعد الموكب درجات السلم وقد مشى في المؤخرة غوبلز وبورمان وكريبس وبورغدورف ، خارجاً من الملجأ الى العالم الآخر ..

استقبلت الموكب عند خروجه شظايا القذائف وألسنة لهيب مصحوبة بالتراب تتراقص من حول ناقلي الجثمانين في حديقة قصر المستشارية . اما الباقون ، الا السائق كامبكا ، فقد وقفوا في الحجرة المصفحة التي تحمي منفذ الملجأ .

تناول غانش وكامبكا صفائح الوقود التي اتى بها السائق ومعاونوه قبل حين ، وصبا ما فيها على الجثتين الممدتين على بعد بضع اقدام امام منفذ الملجأ . ثم تراجع غانش قليلاً واشعل خرقة مبلولة بالوقيد والقاها على الجثتين فالتهبتا وارتفعت منهما السنة النيران في الفضاء تتراقص كأنها تحيي اللهيب المتصاعد من اطلال العاصمة الالمانية .

ووقف الحاضرون بخشوع امام الجثمانين المشتعلين وادوا التحية النازية لزعيم النازية وخالقها ومبدع الرايش الالماني ونجمه الآفل .

تقدم من الاتون في ابان استعاره شخص من اتباع الفوهرر الامناء دون ان يلمحه مشيعو الجنـــازة ، ذلك هو هرمان كارنو . فحين تلقى الامر بالخروج من الملجأ ظن الرجل ان هناك عراكاً على ابواب الملجأ ، واذ كان يعدو في الحديقة اصطدم بجثتين ، فسمره الهلع حين تبين نصف وجه احداهما وقد انزاح عنه الغطاء من الجهة اليمنى ، فاذا هو وجه الفوهرر ملطخاً بالدم ، فرفع يده يؤدي التحية النازية ورجع مسرعاً الى الملجأ

ليخبر رفيقه بوبن بالحدث الاكبر .

وكان ايريك مانسفيلد من الذين شهدوا الحرق من اوله . كان ايريك في برج المراقبة المتصل بالملجأ ، فتركه حيناً فاذا به يرى جثتين محمولتين الى الحديقة . وعاد بعد حين الى البرج ورأى منه رفيقه يانسن وغيره من رجال الحرس الاسود يصبون المزيد من الوقيد على الجثتين الملتهبتين بين الفينة والفينة ويسرعون بالالتجاء بعيداً عن قذائف المدافع المتساقطة على حديقة المستشارية .

وكان هانز هوفيبك خفير منفذ الملجأ يسد انفه ويتراجع ليتفادى الدخان الاسود المتصاعد من الجثتين المحروقتين ورائحته الكريهة .

رجع كارنو الى الحديقة ليشهد نهاية حرق الجثتين . وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر لاحظ ان ابخرة كريهة تتصاعد من الجثتين بفعل الحرارة وان اللحم ينتفخ ثم يهمد . ولم يلبث اللحم في الاعضاء السفلى من الجثتين ان احترق تماماً واخذت عظام هتلر تبرز مسودة مشوية . واقترب بعد حين من الهيكلين العظميين المحترقين وما كاد يمسهما حتى انهارا .

عاد كارنو حوالى الساعة السادسة مساء ذلك اليوم مع مانسفيد ، فاذا بقايا هتلر وايفا قد طمست معالمها ...

كانت الساعة تقارب العاشرة والنصف ليلاً حين جاء كثيرون من حرس الفوهرر بقيادة الجنرال راتنهوبر ودفنوا البقية القليلة الباقية من هتلر شيكلغروبر وايفا براون ، وبعد نصف ساعة عاد مانسفيلد الى الخدمة في برج المراقبة ونظر الى الحديقة فاذا كل شيء فيها مظلم مقفر . وفجأة بهرت نظره انوار كاشفة القيت بالمظلات على حديقة المستشارية وتبع ذلك خبل من القنابل انفجرت في دائرة قطرها خمسة او ستة امتار وفتحت

ثغرة كبيرة ... في احدى زوايا هذه الثغرة كان القبر الذي دفنت فيه بقايا هتلر وايفا قبل حين .

وما ان خمدت الانوار حتى عادت المدافع تصب حممها على حديقة قصر المستشارية الالمانية سيلًا مدراراً .

انتحار الثمانية

لم يؤبن هتلر المؤبنون ولا اقيمت له المراسم . وحل محل هذا التمجيد التقليدي صمت عم الملجأ . واجتنب اي من ساكنيه ان يذكر اسم الفوهرر بعد موته . ولكن صوتاً ارتفع من محطة اذاعة هامبورغ هو صوت الاميرال كارل دونتز يعلن للملأ موت الفوهرر ميتة الابطال .

وفيما اخذ سكان الملجأ يفكرون بالنجاة ، استدعى غوبلز مدام كريستيان واملى عليها رسالة الى المارشال جوكوف قائد الجيوش الروسية في منطقة برلين ليبلغه موت هتلر وتسلمه هو زمام القيادة ، ويطلب اليه طلبين : هدنة الى اجل ، تمهد السبيل لمفاوضته ، والامان للمقيمين في الملجأ ...

حمل كريبس علماً ابيض مع رسالة غوبلز وخرج من الملجأ متوجهاً نحو فصيلة روسية مرابطة على خط بوتسدامر بلاتز . فلما قدم الكتاب الى الكولونيل الروسي قائد الموقع اتصل هذا بالجنرال جوكوف في مقر قيادته قرب مطار تمبلهوف وابلغه فحوى الرسالة !

حوالى الساعة الثامنة والنصف صباح اليوم التالي ، بعد غياب عشر ساعات عاد الجنرال كريبس الى الملجأ حاملاً علمه الابيض الذي اوقف اطلاق النار تلك الساعات . وما كاد يهبط سلم حديقة المستشارية ، حتى عادت المعركة الى جنونها ، فقد رفض الروس طلب الهدنة واصروا على

ان يستسلم الالمان بلا قيد ولا شرط .

بعد فشل المحاولة لم يبق لغوبلز الا ان ينفذ خطته للحاق هو وزوجته واولاده الستة بالفوهرر . وكان الستة يحيطون بامهم ويمطرونها وتمطرهم بالقبل بانتظار الساعة الرهيبة . واخـــذت الام تطمئن الاولاد الى انهم سيعودون قريباً الى البيت من طريق اقرب واسلم من الطريق المعتادة المحفوفة بالاخطار ، وان لا بد لذلك من حقن الاولاد بمخدر . الا ان هليغا الابنة البكر ، حدست بما ينتظرها واخوتها فرفضت ان تحقن وصاحت : « امي ! امي ! لن اموت يا امي ! لا اريد ان اموت ! »

وعبثاً حاولت امها ان تهدىء من روعها . فلما اعيتها الحيلة سارعت وقبضت على ذراع ابنتها وجاء الطبيب شتومبفيغر وساعـد مدام غوبلز على نقل هيلغا الى غرفة مجاورة وهناك حقنها بالسم ، وتركهـــا تعالج سكرات الموت .

وعادت الام والطبيب وقد جن جنونها حقاً من هول ما اقترفتـــه ايديها . وجعلت الام تشدد من عزائم بقية الاولاد وتحدثهم بالعودة الى البيت في طائرة ، فيما اقترب الطبيب وحقن هلموت ، اكبر الاولاد ، الحقنة القاتلة فسقط وهو يتلوى ويعوي من هول الالم ...

لم تستطع مدام غوبلز ان تشهد اكثر مما شهدت وتتحمل اكثر مما تحملت ، فهربت الى الممر كاللبوءة الجريح وارتمت بين ذراعي البارونـة فون فارو وهي تبكي بكاء مراً وتلهث وتردد : لا استطيع ان اكمل الجريمة ! لا استطيع ان اتابع نحر هؤلاء الاطفال ، اعطيني لفافة ! مـــات اثنان حتى هذه اللحظة ومحال ان اتمكن من المضي في هذا العمل المرعب الوحشي ! »

حاولت البارونة ان تخفف عنها وسألتها : « ولكن علام اخترتم هذه

النهاية ؟ تعالي معي . سنهرب هذه الليلة .

– تهربون ؟ والى اين الهرب ؟

– سنحاول التسلل من الخطوط الروسية والوصول الى معسكرات الاميركيين والبريطانيين .

هزت مدام غوبلز رأسها سلباً وقالت بقلب كسير : كلا ! كلا ! لن اهرب . قضي الامر وحزمت امري على الموت .

ثم عادت الى زوجها ودخلت معه الى غرفة الاولاد ، ووقف جنديان امام غوبلز ينتظران اوامره ، فقال لهما : « ستضعان الجثث الست في النعوش وترفعانها وحذاران تحرقاها ، والآن اذهبا »

ثم التفت الى مرافقه الكابتين شفاغرمان وقال له :

« اما انت فعليك ان تحرق جثتي وجثة زوجتي . ومتى اطلقت النار على نفسي ، تسارع انت فتطلق رصاصة على رأسي قبل ان تشعل النار ليكون الموت محققاً عاجلاً . »

خرج شفاغرمان ليعد الوقيد وعهد الى احد الجنود بان يطلق رصاصة الرحمة على رأس غوبلز بعد انتحاره ... قال لي شفاغرمان حين قابلته في منزله في ايمنشستار « عز عليّ ان اطلق الرصاص على الرجل الذي اخلصت له وخدمته ثلاث سنين كاملة ، ولو بعد موته . »

بقي غوبلز ساعتين يكتب ولا يمل ، فيما جلست زوجته تدخن اللفافة تلو اللفافة وترميها على الارض ولما يحترق نصفها حتى غطت الارض فراشات من نار تنطفىء ببطء وسكون ...

انتهى غوبلز من الكتابة والساعة تدق النصف بعد الثامنة مساء ، فنهض وتناول قبعته وقفازيه وعصاه ومد ذراعه وهو ينادي « ماغدا ! » فقامت من وسط فراشاتها المحتضرة وتأبطت الذراع الممدودة . واجتاز الممشى

الفسيح كأي زوجين ذاهبين الى نزهة ليلية .

والتفتا في اسفل السلم لحظة والقيا نظرة اخيرة على غرفتهما ومثوى اولادهما الستة ثم صعدا الدرجات بهدوء وخرجا الى حديقة المستشارية حيث تتراقص القذائف وتختلط سحب الدخان باللهب المنبعث من كل قذيفة تنفجر ...

اخرج غوبلز مسدسه واطلق منه رصاصة واحدة على رأسه فسقط فرب مثوى هتلر الاخير ، بينا قضمت زوجته انبوب السم وسقطت هي الاخرى حيث سقطت ايفا في الامس . وتقدم جندي من الحرس الاسود واطلق رصاصة الرحمة على رأس غوبلز فلم تتحرك جثته .

ثم تكرر مشهد الامس من صب الوقود واضرامه واحتراق الجثتين . ولكن الحرق لم يكن تاماً اذ لم يبق قرب الجثتين من يذكي النار لتأكلهما عن آخرهما . فقد سارع شفاغرمان الى الملجأ وبدأ يعد عدة الهرب .

وامر الجنرال موهنك بحرق داخل الملجأ ، فافرغ شفاغرمان وبعض اعوانه عدداً من صفائح الوقود على ارض الملجأ والاثاث واضرموا النار ، وهم لا يقدرون عاقبة هذا العمل الاهوج ، وسرعان ما ارتفعت ألسنة النار واحاطت بهم . وسارعوا يشقون طريقاً للنجاة وسط النيران واذ بالباب الفولاذي يصفق . ولكن اعجوبة حدثت فلم يقفل الباب تماماً واستطاعوا ان يفتحوه ويخرجوا الى فوس شتراسه .

وكأني بهتلر وغوبلز جذعي دوحتين كانا يسدان مياه نهر ، فما انزاحا من مجراه حتى تدفق منه جماعة الملجأ كالسيل الجارف ينشدون النجاة ، متدافعين ، جنوداً واعواناً وكتبة وخدماً وسائقين وطباخين .

اندفع الهاربون صوب الغرب ، الغرب البعيد سبعين كيلومتراً ، لا

اكثر ، عن برلين ، غربي نهر الايلب ، فاذا ما اجتازوا النهر اجتازوا حلقة الموت .

اما الجنرال كريبس والجنرال بورغدورف فقد بقيا امينين لقسمهما فلم يغادرا الملجأ . وعلم بورغدورف ان هانز فريتشه رئيس الاذاعة في وزارة الدعاية ارسل الى الجنرال جوكوف رسالة يعرض عليه فيها تسليم برلين ، فشهر مسدسه ولحق بفريتشه الى الشارع وهو يصيح به : يالليخيانة خنت الفوهرر وقد وعدناه بالا نستسلم . وهذا جزاؤك ! واطلق عليه الرصاص . ولكن بعض رفاقه ادركوه في اللحظة الاخيرة وحولوا فوهة المسدس فنجا فريتشه .

ولما عاد بورغدورف الى الملجأ فتح زجاجة « جين » برصاصة من مسدسه وعب منها ما استطاع ان يعب ثم اطلق رصاصة على صدغه وهو يهتف : هايل هتلر .

اما كريبس فكل الشواهد تدل على انه حذا حذو بورغدورف ...

•

كانت خطة الهاربين مرتكزة على هدف اساسي : الوصول بمنتهى السرعة الى واحدة من محطات سكة الحديد الارضية ، والخروج من احد الامكنة بعد التنكر او بلا تنكر ، لمحاولة اجتياز الخطوط الروسية . وحوالى منتصف الليل استطاع الهاربون ان يتسللوا من ثغرة في زاوية فيلهلمشتراسه وفوس شتراسه ، ووصلوا الى محطة المترو في كايزرهوف . ولكنهم وجدوا المحطة منهارة بقذائف المدافع فانطلقو نحو السلم المؤدي الى خط القطار تحت الارض على بعد مائة متر .

كان ايريك كامبكا ، سائق هتلر ، يقود جماعة من جماعات الفارين من الملجأ . فلما خرج بهم من الخط الحديدي الارضي في محطة فريدر يخشتراسه

فوجيء بنيران العدو فاضطر ورفاقه للوقوف والتجأوا الى اطلال بناية الاديمير الزبالاتز ، واستقر رأيهم عـــلى ان لا يغامروا في التقدم ما لم تدعمهم دبابات .

وقد جاءت هذه الدبابات واخذت تتقدم والجماعـــة تتبعها . وفجأة تطايرت اجزاء الدبابة التي احتمى بها كامبكا ونورمان وشتومبفيغر وبورمان.

يعتقد كامبكا ان بورمان قتل في هذا الانفجار. ولكن اكسمان يقول انه رأى بورمان بعـــد حين مع شتومبفيغر جثتين هامدتين على جسر انفاليدن . ويعني بهذا ان بورمان لم يقتل بالانفجار بل قتل بالرصـــاص على الجسر .

انتشر نبأ موت كثير من الهاربين من الملجأ . ولكن كثيرين منهم وصلوا الى مناطق البريطانيين او الاميركيين جرحى او سالمين . ولقد جرح طيارا هتلر بوبر وبيتز جراحاً بليغة وفقد بوبر احدى ساقيه وشق رأس بيتز ، ووقعا بايدي الروس . ووقع في ايدي الروس كذلك لينغه وراتانهوبر الذي اصيب بجرح بليغ، والاميرال فوس والجنرال موهنك والبروفيسور هاز وغانش ، وشوهدوا بعد استسلام المانيا في سجون روسية بعدما اشيع ان بعضهم مات. اما هيغل ونومان وهوغل فالشائع انهم قتلوا في شوارع برلين .

اما هملر فما كان يحتاج الى التعرض للخطر الروسي كي يصل الى البريطانيين او الاميركيين لانـه بقي في الشمال ، ولكنه لم يشأ ان يستسلم لهؤلاء ، اذ انه سيخلف هتلر ، الى ان عرف بامر تسلم الاميرال دونتز زمـــام الحكم. وقد ظل طويلاً يعتقد بانه يستطيع ان يتفاوض مع القادة الغربيين وارسل كتاباً الى المارشال مونتغمري يطلب فيه ان يقابله. فلما استسلمت المانيا تنكر هملر باسم مستعار هو اسم الهر هيتزنجر وراح يتنقل عـــلى

غير هدى .

وتوجه هملر آخر الامر مع مرافقه غروتمـــان الى معتقل انكليزي للاسرى ، وقد اعتزم ان « يفـــاوض » احد القادة الحلفاء . وبعد بحث ودرس مدة يومين قدم نفسه الى احد الجند على حقيقته قائلا : انا هملر !

وظنه الجندي معتوهاً ورفض ان يصدق ان الماثل امامه هو هملر بشحمه ولحمه فانتهره . فلما اصر على قوله استدعى الجنـدي رئيس المخفر فتولى هذا الاتصال بقسم الاستخبارات العسكري فاوفد القسم محققاً الى المعتقل.

كان استقبال المحقق لهملر قاسياً اذ قاطعه وهو يقدم نفسه اليه صائحاً به : اسكت ايها الخنزير ! لم يطق هملر صبراً على تلك الاهانة . وكان يخفي في فمـه انبوبـاً من تلك الانابيب الصغيرة السامة . فقضمه وصرخ صرخة وسقط يتلوى ثم لفظ آخر انفاسه .

وفي النروج اختار مفوض الرايش جوزف تيربوفن ميتة فذة بعدما بلغته الاخبار السيئة عن المانيـا . فقد حشر نفسه في وكر من الاسمنت المسلح واشعل فتيل قنبلة كبيرة فانفجرت ومزقته وطوحت بـــه الى العدم ...

اما فون غريم الذي اقلته الطيارة حنه ريتش فقد انتحر هو الآخر حين يئس من النجاح في مهمة القبض على هملر وسوقه الى الملجأ .

اين هتلر ؟

في صباح الثاني من ايار ، فيما كان ستالين يحتفل باحتلال برلين باربع وعشرين طلقة من ثلاثمائة واربعة وعشرين مدفعاً ، وقف هانز فريتشه والمسدس موجه الى رأسه ، امام جماعة من الضباط الروس يمطرونه بالاسئلة عن ادولف هتلر ومصيره . ولما انتهى استنطاقه حمله الضباط الى غابة قريبة من برلين ، وكرروا عليه السؤال عينه : اين هتلر ؟

ظل هذا السؤال يتردد كنغم في اسطوانة معطلة . ولما افرغ فريتشه كل ما حوت جعبته من اقوال اعاده سجانوه الى برلين حيث ظل تسعة ايام عرضة لاستنطاق ممض كاد يذهب بلبه . وفي اليوم العاشر كف الروس عن طرح الاسئلة عليه . فقد وجدوا في حديقة قصر مستشارية الرايش فك رجل عرضاه على اثنين من مساعدي طبيب اسنان هتلر ، هما فريتز ايختمان ومدام كاترينا هوزرمان ، ففحصه المساعدان وصوراه بالاشعة وجزما بان هذا الفك هو فك هتلر واستشهدا بتشابه صور اسنان الفك واسنان هتلر ايام كان يداويها .

اما الشك الذي اظهره الروس فجأة بامر وفاة هتلر فمرده الى غايات سياسية ، يثبت ذلك انهم اعلنوا هذه الوفاة ببلاغاتهم وبرقياتهم في الايام الاولى من استسلام برلين . وفي التاسع من حزيران اعلن المارشال جوكوف ان هتلر تزوج حقاً بايفا براون وقد يكون استطاع ان

يهرب بطائرة الى قطر من الاقطار. ومن المسلم به، بداهة، ان جوكوف لم يكن يجهل ان اي سفر من برلين بالطائرة كان مستحيلاً منذ الثامن والعشرين من نيسان .

قال لي فريتشه : « انا واثق من ان ما لاحظه ستالين في اثناء اجتماعه بترومان (كما جاء في كتاب وزير الخارجية الاميركية جايمس بيرنز) من انه يعتقد بان ادولف هتلر حي يقيم في اسبانيا او الارجنتين ، يناقض ما يعرف ستالين عن حقيقة مصرع هتلر . وهناك حقيقة ثابتة اعرفها جيداً ، وهي ان نتيجة تشخيص فك هتلر التي تضمنها تقرير اليختمان قد ارسلت الى موسكو بطائرة خصصت لهذه الغاية . »

لما زرت ملجأ المستشارية الالمانية في مطلع صيف ١٩٤٥ سارع الي الضابط الروسي في تلك المنطقة الماجور فيودورو فيتش بلاتوف ، مؤكداً بحماسة تستوقف النظر ، ان هتلر لم يمت، ويستشهد على ذلك بطائفة من النظرات والآراء . اما انا فاجتنبت ان اجزم برأي مؤيد او مخالف لرأي الماجور واكتفيت بطلب فحص المكان الذي قضي فيه ادولف هتلر ايامه الاخيرة. واذا بصاحبي ينتفض كمن الصقت به تهمة ويصيح وهو يشير الى بقعة من حديقة المستشارية : « ليس صحيحاً ان هتلر وجد هنا ! لقد اثبت خبراؤنا ومحققونا ان الرجل الذي عثرنا عليه هنا لا يشبه هتلر من قريب او بعيد، ثم اننا لم نجد اثراً لايفا براون ! »

ولكن الماجور الروسي هذا كان يتجاهل الادلة الحقيقية التي تثبت موت هتلر . فقد كان السائق ايريك كامبكا سجيناً وكذلك هيرمان كارنو وكلاهما شهدا حرق جثتي هتلر وايفا . وكان هناك الفك الذي وجد في حديقة المستشارية وثبت انه فك هتلر ولا شك .

لم يسمح الروس للدول الغربية بارسال ممثلين يشهدون التنقيب

والتحقيق مع الشهود عن نهاية هتلر الا في الثالث من كانون الاول ١٩٤٥ . وفي الحادي والعشرين من الشهر ذاته اجتمع هؤلاء الممثلون في حديقة مستشارية الرايش وراح ثمانية من العمال الالمان ينبشون الارض من حول الملجأ ، وفيها حفرة احدثتها قنبلة .

ظل العمال يحفرون حتى وصلوا الى عمق ثلاثة امتـــار واصطدمت رفوشهم بسطح من الاسمنت المسلح . وحتى الساعة الخامسة بعد الظهر ، ساعة اضطر العمال ان يتوقفوا عن العمل لهبوط الظلام وهبوب عاصفة ثلجية هوجاء ، كان العمال قد اخرجوا قبعتين ثبت انهما من قبعات هتلر ، وثوباً داخلياً عليه حرفا اسم ايفا براون وكدسة من تقارير غوبلز الى هتلر .

واتفق ممثلو الدول الاربع ان يستأنف النبش صباح اليوم التالي . ولكن ، لما جاء ممثلو اميركا وانكلترا وفرنسا في الموعـد المضروب اعترضتهم قوة من الحرس السوفياتي المسلح وحـالت دون دخولهم . وبرّرت السلطات الروسية منعهم هذا بانهم استولوا على وثائق تخص مستشارية الرايش . ومنذ ذلك اليوم لم يسمح الروس للحلفاء الغربيين بمرافبة اعمال النبش والتنقيب في حديقة المستشارية والملجـأ واعتصموا بالصمت في امر ما اكتشفوه من ادلة وما جمعوه من شهادات ، مع انهم ساقوا الى روسيا كثيرين من افراد حاشية هتلر ، اذكر منهم لينغـه ، وصيف هتلر ، والاميرال فوس ضابط اتصاله بالبحرية الحربية ، وغانش الذي اشرف على انتحار هتلر وايفـــا واحرق جثتيهما ، وبيتز وبوير طياري هتلر ، وراتنهوبر رئيس حرسه الشخصي .

مات هتلر ، ولا سبيل الى الظنون . وقد اجتمعت بجميع الاحياء من الذين قاربوا هتلر في الشهر الاخير من حياته (الا الباقين حتى اليوم

في روسيا) . تعقبتهم في كل مكان : في قاعات المحاكم ، في السجون ، في المعتقلات ، في منازلهم ، فرووا لي حوادث الايام الاخيرة بتفاصيل واضحة دقيقة تجعل مجرّد سخف ولغو ان يقال ان ثمة لغزاً اكتنف موت هتلر .

وبعد فقد عثر الروس على جثة نصف محروقة في حديقة المستشارية اثبت فريتشه بسهولة انها جثة غوبلز. ووجدت قربها جثث افراد عائلته . فهل يعقل ان ينتحر غوبلز وتنتحر معه زوجته وينحر اولادهما الستة ، لو كان هتلر باقياً على قيد الحياة ؟

ولا سبيل الى اختراع قصص من نسج الخيال حول نهاية هتلر اعتماداً على ان الروس لم يجدوا جثته كاملة . فقد بدأ دفن بقايا هتلر بعيد الساعة الثالثة بعد ظهر الثلاثين من نيسان ، ولم يصل الروس الى مستشارية الرايش الا حوالى ظهر الثاني من ايار . وفي فاصل الساعات الثماني والاربعين هذه ، حدثت ، حتماً ، تبديلات كبيرة ، اذ كانت القذائف والقنابل تنهمر على المستشارية . وتكفي قنبلة واحدة لتذري بقايا جثة محروقة .

اجل ، مات هتلر !

— انتهى —

فهرست

صفحة

المقدمة ٢
حصن في جحيم ٤
خيانة ٨
اربع نساء في الملجأ ١٥
اخطار صاعق ٢٠
هتلر هز الدنيا بكلمات ٢٩
حسان في الملجأ ٣٣
زائران من عالم آخر ٣٩
هكذا يفني اليهود ٥٠
تقدم ثم انكفاء ٥٦
عاصفة على الملجأ ٦٠
زواج وبيان ٧١
دماء على برقية ٨٠
طرق على الباب ٨٣
الانتحار ٩١
انتحار الثمانية ٩٦
اين هتلر ؟ ١٠٣

A.U.B. LIBRARY

مطبعة الاتحـــاد
شارع الامـــير بشير – بيروت

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00507886

اقرأ ... قريباً

من ستالين ...
الى هتلر !

بقلم
السفير روبير كولوندر

تعريب
باسيل دقاق

نسخة
1951